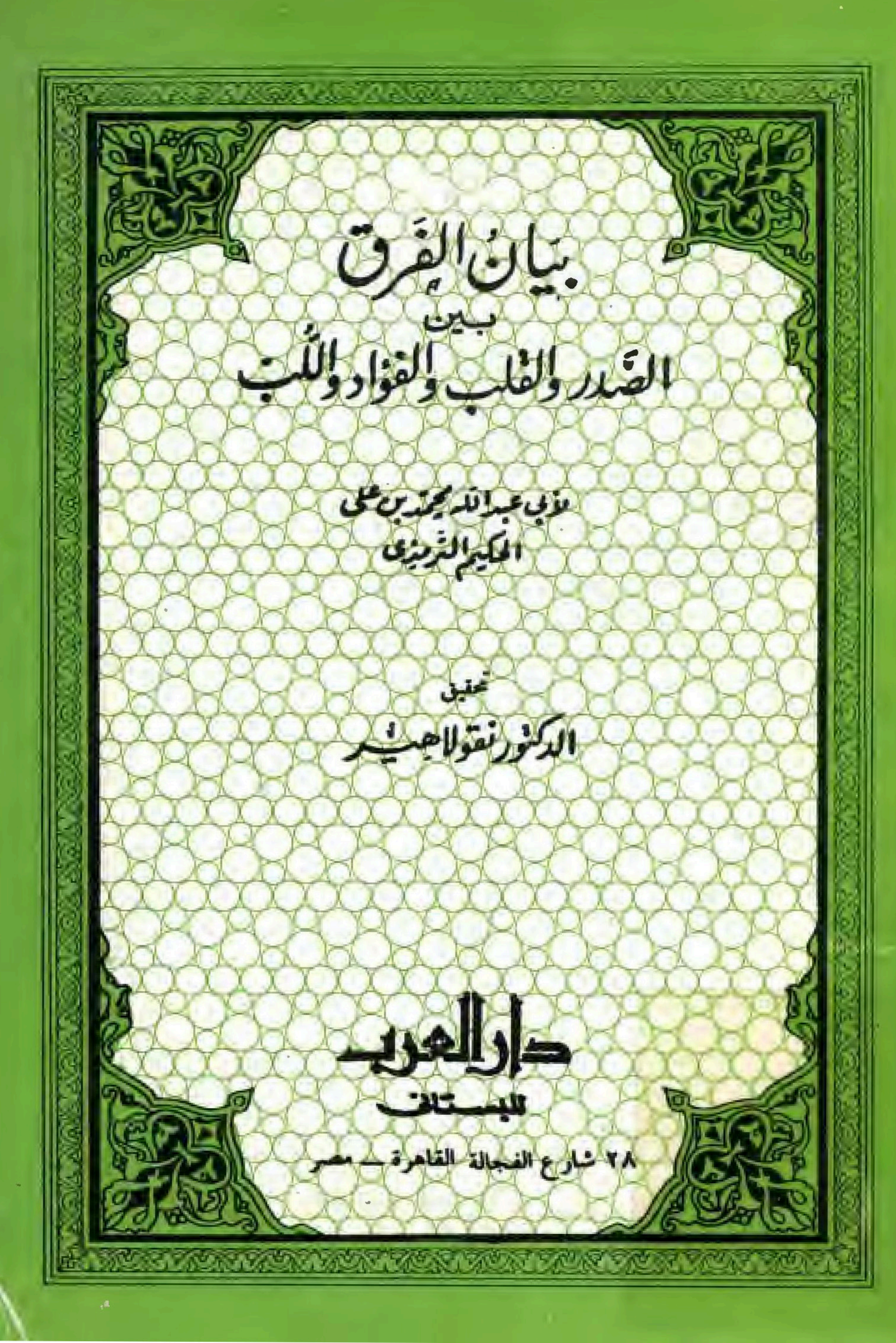

بيان الفرق
بين
الصدر والقلب والفؤاد واللب
لأبي عبد الله محمد بن علي
الحكيم الترمذي
تحقيق
الدكتور نقولا هير
دار العرب
للبستاني
٢٨ شارع الفجالة القاهرة ــ مصر

مقدمة

ولد أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى فى ترمذ ، من بلاد ما وراء النهر ، كما يتضح ذلك من نسبته ، قريباً من مطلع القرن الثالث الهجرى . ولا يعرف على وجه التحقيق وقت مولده أو وفاته و إن روى بعضهم أنه عاش حتى بلغ الثمانين [1] أو التسعين [2] .

ما روى فى ترجمته :

تعوزنا المعرفة المفصلة الدقيقة لحياة الترمذى ، وأقدم مالدينا من مصادر حياته هى الترجمة التى كتبها لنفسه [3] ، وهى تشمل بعض الأخبار عن صدر حياته مما لا نجده فى المصادر المتأخرة ، رغم ماتعج به هذه الترجمة من أخباره خلال المنامات التى تراه فيها زوجه وأصحابه .

ويذكر الترمذى فى ترجمته أنه ابتدأ الدرس فى الثامنة وأنه درس « علم الآثار » و « علم الرأى » . فلما بلغ السابعة والعشرين عزم على الحج [4] ، ومر بالعراق

(١) شمس الدين أبو عبد الله الذهبى ، « تذكرة الحفاظ » الطبعة الثانية (حيدر آباد ١٣٣٣ هـ) ج ٢ ص ١٩٧ .

(٢) أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى ، « لسان الميزان » (حيدر آباد ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ هـ) ج ٥ ص ٣١٠

(٣) توجد نسخة مخطوطة من هذه الترجمة فى مجموعة اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ تحت عنوان « بدء شأن أبى عبد الله » .

(٤) « بدء شأن أبى عبد الله » ق ٢٠٩ ظ .

فى طريقه طلباً للحديث . ولما وصل إلى مكة وقع على قلبه ، كما يقول ، « تصحيح التوبة والخروج مما دق وجلّ » ، وسأل الله أن « يصلحه و يزهده فى الدنيا » . ثم ألقى عليه ، وهو عائد إلى وطنه ، « حرص التحفظ للقرآن » ، فبدأ ذلك فى طريقه . ولما رجع نشد له شيخاً يدله على طريق التقوى ولكنه لم يهتد إليه حتى سمع « كلام أهل المعرفة » ووقع إليه « كتاب الانطاكى »[1] وتعلم منه شيئاً من « رياضة النفس »[2] ، وكان فى أثناء ذلك يقضى الساعات الطوال وحيدا فى الصحراء ، فكشف له عن كثير من المعانى والتجليات[3] .

ثم يحدثنا الترمذى عن وقوعه فى محنة وعن اتهامه زورا بالهوى والبدعة وادعاء النبوة والتكلم فى الحب و إفساد الناس ، وعن رفع هذه الاتهامات إلى والى بلخ الذى أمره ألا يتكلم فى الحب . و يقول الترمذى إن هذه المحنة كانت سببا لتطهير قلبه وتذليل نفسه[4] . ثم يذكر بعد ذلك أن الذين اتهموه وآذوه اضطروا إلى الهرب حين هاجت بالبلاد فتنة[5] . وليس فى هذه الترجمة تاريخ مذكور اللهم إلا تاريخ رؤيا رأتها زوجه فى عشر بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين[6] .

---

(١) يذكر السلمى شخصين بهذه النسبة هما : أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكى ، وعبد الله بن خبيق الأنطاكى . انظر « طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى ، تحقيق نور الدين شريبة ، (القاهرة ١٩٥٣) ص ١٣٧ و ١٤٠

(٢) « بدء شأن أبى عبدالله » ق ٢١٠ و

(٣) نفس المصدر ، ق ٢١٠ ظ ـ ٢١١ و

(٤) نفس المصدر ، ق ٢١١ و ـ ٢١١ ظ

(٥) نفس المصدر ، ق ٢١١ ظ

(٦) نفس المصدر ، ق ٢١٧ و

ولا نجد بعد هذه الترجمة التى كتبها الترمذى عن نفسه ترجمة بين أيدينا أقدم مما كتبه السلمى فى « طبقات الصوفية »[١] ، وإن كان قد ورد ذكر الترمذى فى مصدر أقدم وهو كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذى[٢] ، ولعله ذكر كذلك فى كتب أسبق منه وإن تكن ليست بين أيدينا اليوم[٣] ويروى السلمى ، المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، أن الترمذى كان أحد كبار المشايخ بخراسان وأنه كتب الحديث ورواه وألف فى علوم القوم كتبا مشهورة ، كما يذكر أنه صحب أبا تراب النخشبى[٤] ويحيى الجلاء[٥] وأحمد بن خضرويه[٦] . وتضم الأسانيد التى يروى بها السلمى أقوال الترمذى ثلاثة من تلاميذه هم القاضى أبو محمد يحيى بن منصور[٧] ومنصور بن عبدالله[٨] والحسن بن على[٩] .

---

(١) السلمى ، « طبقات الصوفية » ص ٢١٧ — ٢٢٠

(٢) أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى ، « كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف » (القاهرة ١٩٣٣ م) ص ١٢

(٣) انظر Louis Massignon, La passion d' al - Hosayn - ibn - Mansour al-Hallaj martyre mystique de l' Islam (Paris,1922) vol. II, p.9*, nos. 132, 137, p. 10*, no. 144.

(٤) هو أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٤٦—١٥١

(٥) ذكره السلمى فى ترجمته لابنه أبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء . انظر طبقات السلمى ص ١٧٦ — ١٧٩

(٦) وهو أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٠٣—١٠٦

(٧) انظر ترجمته فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ) ج ٣ ص ٩

(٨) ولعله أبو على منصور بن عبد الله بن خالد الذهلى الهروى . انظر ترجمته فى « تاريخ بغداد » لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى (القاهرة ١٣٤٩ هـ) ج ١٣ ص ٨٤

(٩) وهو أبو على الحسن بن على الجوزجانى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢٤٦—٢٤٨ .

وأبو نعيم الأصبهانى ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، يذكر فى «حلية الأولياء»[١] أن الترمذى رد على المرجئة وعلى غيرهم من المخالفين ، وينقل فقرات من كتاب « عرش الموحدين » للترمذى بإسناد نجد فيه اسم تلميذ آخر من تلامذته هو أحمد بن محمد بن عيسى[٢].

أما القشيرى ، المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، فى « الرسالة »[٣] وابن خميس ، المتوفى سنة ٥٥٢ هـ ، فى « مناقب الأبرار »[٤] وابن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، فى « صفة الصفوة »[٥] فلا يأتون بجديد ، إنما يكررون أقوال المتقدمين عنهم .

ويذكر الهجويرى ، المتوفى سنة ٤٦٩ هـ ، فى كتابه « كشف المحجوب »[٦]

---

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » . (القاهرة ١٣٥١ — ١٣٥٧ هـ) ج ١٠ ص ٢٣٣ — ٢٣٥

(٢) ولعله لأحمد بن أبى الورد . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢٤٩ — ٢٥٣ ، وفى « تاريخ بغداد » ج ٥ ص ٦٠

(٣) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، « الرسالة القشيرية فى علم التصوف » (بولاق ١٢٨٤ هـ) ص ٢٩

(٤) أبو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس ، « مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار » ق ٥٠ من مخطوط المتحف البريطانى رقم Or. 408

(٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى ، « صفة الصفوة » (حيدر آباد ١٣٥٥ — ١٣٥٧ هـ) ج ٤ ص ١٤١

(٦) على بن عثمان الجلابى الهجويرى ، « كشف المحجوب » تحقيق والنتين زوكوفسكى (لنينگراد ١٩٢٦ م) ص ١٧٧ — ١٧٩ ، وفى ترجمة نكلسن الإنجليزية (لندن وليدن ١٩١١ م) ص ١٤١ — ١٤٢ .

أسماء ثمانية كتب للترمذى من بينها تفسير للقرآن يقول إن الترمذى مات ولم يتمه[١] . كما يذكر أن الترمذى تتلمذ على شيخ من أصحاب أبى حنيفة الأقربين[٢] ، وأن أبا بكر الوراق[٣] كان تلميذاً له . وينسب الهجويرى إليه فرقة صوفية تسمى « الحكيمية » ويخصها بفصل كامل من كتابه[٤] ويقول إن مأخذ قولها فى الولاية هو الترمذى .

وفريد الدين العطار ، المتوفى سنة ٦٢٧ هـ ، يروى فى كتابه « تذكرة الأولياء »[٥] قصصاً كثيرة عن الترمذى ، ويبدو أن أكثرها غير صحيح لأننا لانرى لها ذكراً فى المصادر القديمة ، وأجدرها بالذكر ما رواه عن مقابلة وقعت بين الترمذى و بين يحيى بن معاذ[٦] .

والذهبى ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، فى كتابه « تذكرة الحفاظ »[٧] يروى عن السلمى أن الترمذى نفى من ترمذ بسبب كتابين ألفهما هما «ختم الولاية»

---

(١) هذا فى الترجمة الانجليزية فطبعة زوكوفسكى الفارسية تذكر خمسة كتب فقط .
(٢) وهذا من المستبعد نظراً إلى أن أبا حنيفة توفى سنة ١٥٠ هـ .
(٣) وهو أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢٢١ — ٢٢٧ ، وأخرج كتابه « العالم والمتعلم » محمد زاهد الكوثرى (القاهرة ١٣٥٨ هـ) .
(٤) « كشف المحجوب » الطبعة الفارسية ص ٢٦٥ .
(٥) محمد بن إبراهيم فريد الدين العطار ، « تذكرة الأولياء » تحقيق رينولد نكلسن (لندن وليدن ١٩٠٥ — ١٩٠٧ م) ج ٢ ص ٩١ — ٩٩ .
(٦) وهو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٠٧ — ١١٤ .
(٧) « تذكرة الحفاظ » ج ٢ ص ١٩٧ .

و « علل الشريعة » ، ولأنه كان يذهب إلى أن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً ، فقالوا إنه فضل الولاية على النبوة واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يغبطهم النبيون والشهداء » ، وقال « لولم يكونوا أفضل لماغبطوهم »[1] ثم يذكر أنه ذهب إلى بلخ فأكرموه لموافقته لهم فى المذهب ، وأنه رحل إلى نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين ، وأنه عاش حتى بلغ الثمانين .

والسبكى ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، فى « طبقات الشافعية »[2] يكرر أكثر ماقاله الذهبي ويزيد عليه ذكر بعض مؤلفات الترمذى . وابن حجر العسقلانى[3] ، المتوفى سنة ٨٣٢ هـ ، يذكر أن ابن النجار ، المتوفى سنة ٦٩٣هـ ، قد ترجم له فى تاريخه[4] ، كما يذكر أن كمال الدين ابن العديم ذكره فى كتابه « الملحة فى الرد على أبى طلحة » ، وهو كتاب مفقود يقول ابن العديم فيه إن

---

(١) ويبدو أن مصدر هذه الرواية هو « تاريخ الصوفية » للسلمى (انظر المقدمة لطبقات السلمى ص ٣٤) لأنها لم ترد فى طبقاته . قارن « ختم الأولياء » ق ١١٣ ظ من مخطوط ولى الدين رقم ٧٧٠ حيث يقول الترمذى : ثم أنهم يروون من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون والشهداء لقربهم ومكانهم من الله . . . . قال قائل : أفليس فى هذه الأخبار ما يدل على تفضيل من دون الأنبياء على الأنبياء ؟ قال : معاذ الله أن يكون كذلك ، ليس لأحد أن يفضل على الأنبياء أحدا . الأنبياء لهم نبوتهم وعلمهم . قال . فلم يغبطهم النبيون وليسوا بأفضل منهم ؟ قال : قد تبين فى الخبر لم ذلك . قال : لقربهم ومكانهم من الله » .

(٢) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، « طبقات الشافعية الكبرى » (القاهرة) ج ٢ ص ٢٠ .

(٣) « لسان الميزان » ج ٥ ص ٣٠٨ — ٣١٠ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار ، « ذيل على تاريخ بغداد » ، انظر Brockelmann, GAL, Suppl. I, 613.

الترمذى « لم يكن من أهل الحديث ... و إنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج فى ذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق الطعن عليه بذلك » ، وإنه « ملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التى ليست بمروية ولا مسموعة »[1]. ثم يروى ابن حجر كذلك أن الأنبارى[2] سمع منه سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة[3].

وأما المتأخرون من المؤرخين كالجامى[4] ، المتوفى سنة ٨٩٨ ﻫ ،

---

(١) وجدير بالذكر ما يروى ياقوت فى « معجم الأدباء » من أن عم كمال الدين ابن العديم ؛ وهو جمال الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ، كان « أحد الأولياء العباد وأرباب الرياضة والاجتهاد » وأنه « شغف بتصانيف أبى عبد الله محمد بن على بن [كذا] الحكم الترمذى فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه » . (انظر ياقوت ابن عبد الله الرومى ، « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » تحقيق مرجوليوث ، لندن وليدن ١٩٠٧ ــ ١٩٢٦ ، ج ٦ ص ٣٣ ــ ٣٤) . وفى أيدينا مخطوطان بخطه هما : مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ ومخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية ، فنون متنوعة رقم ١٤٥ وفقه شافعى رقم ٣٣ .

(٢) ولعله أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم بن عمران بن بريدة الأنبارى المتوفى سنة ٣٦٠ انظر « تاريخ بغداد » ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) وقد روى كل من دارا شكوه وحاجى خليفة أن الترمذى توفى سنة ٢٥٥ وهذا ليس بصحيح بدليل ما ذكره الترمذى نفسه فى ترجمته عن منام رأته زوجه سنة ٢٦٩ . انظر « سفينة الأولياء » لدارا شكوه ، ق ٨٦ ظ من مخطوط المكتب الهندى رقم ٦٤٧ ، و « كشف الظنون » لمصطفى بن عبد الله كاتب چلبى حاجى خليفة ، تحقيق جستانس فلوجل (ليبزج ولندن ١٨٣٥ ــ ١٨٥٨ م) ج ١ ص ١٥٥ .

(٤) نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامى ، « نفحات الأنس من حضرات القدس » (كلكتة ١٨٥٨ م) ص ١٣١ .

والشعرانى[١] ، المتوفى سنة ٩٧٣ ﻫ ، والمنـاوى[٢] ، المتوفى سنة ١٠٣١ ﻫ ، ودارا شكوه[٣] ، المتوفى سنة ١٠٥٦ ﻫ ، فلا يأتون بجديد عن الترمذى .

الترمذى والملامتية

لم ينتسب الترمذى إلى طائفة الملامتية ، بل تناول أصولهـا بالنقد[٤] ، ولـكنه كان وثيق الصلة ببعض من ينتمون إليها ، وقد كان أحدهؤلاء تلميذاً له وهو أبو على الحسن بن على الجوزجانى (الجرجانى) الذى ورد ضمن سـنـد للسامى فى « رسالة الملامتية »[٥] .

كما أن الترمذى كان يكاتب أبا عثمان سعيد بن إسمـاعيل الحيرى النيسابورى[٦] ،وهوأحد ثلاثة أسسوا مذهب الملامتية ،ومحمدبن الفضل البلخى[٧]

(١) عبد الوهاب بن أحمد الشعرانى ، « الطبقات الـكبرى » (القاهرة ١٣٤٣ ﻫ) ج ١ ص ٧٨ .

(٢) عبد الرءوف بن تاج العارفين بن على الحدادى المناوى ، « الـكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية » ق ٢١٢ و ـ ٢١٣ ومن مخطوط رقم ٢٤٩ من مجموعة يهودا بجامعة برنستون .

(٣) « سفينة الأولياء » ق ٨٥ ظ .

(٤) انظر مثلا « كتاب الأكياس والمغترين » ، ص ٩٥ ــ ٩٨ من مخطوط الظاهرية.

(٥) أبو العلا عفيفى ، « الملامتية والصوفية وأهل الفتوة » (القاهرة ١٩٤٥ م) ص ١٠٨ .

(٦) انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٧٠ ــ ١٧٥ .

(٧) وهو أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العبـاس بن حفص البلخى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢١٢ ــ ٢١٦ .

وهو صديق حميم لأبى عثمان ، ولا يزال من هذه المكاتبة رسالة إلى أبى عثمان ورسالتان إلى محمد بن الفضل بين كتب الترمذى المخطوطة(١) .

فالترمذى فى رسالته إلى أبى عثمان ، يأخذ عليه دوام انشغاله بمعرفة عيوب النفس وعاداتها المسترذلة حتى لا يجد فضلاً من الوقت للاشتغال بمعرفة الله ، ويقول إن العبد الذى يظل مشتغلا بمعرفة نفسه وعيوبها يظل بقية عمره يحاول التغلب عليها وإخضاعها ، بينما الرجل الذى يشتغل بمعرفة العلم بالله تزهق نفسه دون أن يبذل فى ذلك عناء .

وفى إحدى رسالتيه إلى محمد بن الفضل يبدأ بنفس الفكرة ، وهو متفق معه فى وجود مصائب النفس ، إلا أنه يرى أنها « تهون فى جنب مصائب القلوب وأن من أعظم هذه المصائب حجبها عن الله » ثم يصرف الترمذى أكثر هذه الرسالة إلى رد قول محمد بن الفضل فى أن المصائب كلها لا موضع لها فى الآخرة ، بل أنه يرى أن مصيبة المحجوب عن الله لا تنتهى فى الدنيا ولا فى الآخرة .

كتب الترمذى وأثره :

إن تأثير الترمذى على الصوفية بعده عن طريق مؤلفاته أوضح من تأثيره

(١) ورد كتاب الترمذى لأبى عثمان فى « جواب كتاب من الرى » (ص ١٩١ من مخطوط الظاهرية) . وورد الكتاب الأول لمحمد بن الفضل فى « المسائل المكنونة » (ق ١٥ ظ من مخطوط ليزج) والكتاب الثانى له فى ق ٦٦ ومن مخطوط ليزج .

عليها بوساطة مريديه وتلاميذه [١] ، فإن كثرة استنساخ كتبه ، حتى إلى عهد قريب ، تقوم شاهدا على ما لقيته عند الناس من استحسان ورواج .

وقد درس المتأخرون كثيرا من مؤلفات الترمذى واستفادوا منها ، وقد ذكر الأستاذ ماسينيون أن أسئلة الترمذى الخمسة والخمسين والمائة التى أوردها الترمذى فى كتابه « ختم الأولياء » [٢] قد استفاد منها ابن عربى فى كتابه « الفتوحات المكية » وفى كتاب آخر أفرده لهذه الأسئلة سماه « الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم » [٣] .

وكذلك الغزالى استفاد من « كتاب الأكياس والمغترين » فى آخر الربع الثالث من « الإحياء » [٤] حين تكلم عن ذم الغرور ، كما أن ابن قيم الجوزية ينقل فقرا من « كتاب الفروق » فى « كتاب الروح » [٥] ، ولا ريب أن البحث سيهدى إلى آخرين استفادوا بكتب الترمذى .

وفى ما يلى كشف بأسماء مؤلفات الترمذى وهى ، وإن لم تكن جامعة

---

(١) Louis Massignon, Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane, 2d ed. (Paris, 1954) p. 264.

(٢) « ختم الأولياء » ق ٩٦ و — ٩٧ و من مخطوط ولى الدين رقم ٧٧٠ .

(٣) Massignon, Lexique, pp. 259 - 262 ; and Recueil de textes inédits concernant l' histoire de la mystique en pays d' Islam (Paris,1929), pp. 33 - 36, 253 - 254 .

(٤) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ، « إحياء علوم الدين » ، (القاهرة ١٣٠٦ هـ) ج ٣ ص ٣٢٦ — ٣٥٦ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، « كتاب الروح » (حيدر آباد ١٣٥٧ هـ) ص ٢٨٣ — ٣٢٦ .

لـكل ما ألف ، إلا أنها تضيف إلى الـكشوف السابقة [١] أسماء ومخطوطات جديدة وتعدل القديم منها .

١ ـ أبواب مختلفـة :

النسخ المخطوطة ـ (١) الجمعية الآسيوية فى كلـكتة رقم ١٠٥٦ [٢] .

٢ ـ إثبات العلل :

النسخ المخطوطة ـ (١) برلين رقم ٣٥٠٤ .
(٢) خراججى أوغلو رقم ٨٠٦ .
(٣) ولى الدين رقم ٧٧٠ .

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » تحقيق فلوجل ، ج ١ ص ١٥٥ .
(٢) « تذكرة الحفاظ » للذهبى ، ج ٢ ص ١٩٧ .
(٣) « طبقات الشافعية » للسبكى ، ج ٢ ص ٢٠ .
(٤) « المنهيات » للترمذى ق ٢١٢ ظ من مخطوط باريس رقم ٥٠١٨ .

---

(١) ص ١٣ ، ١٤ من مقدمة « كتاب الرياضة وأدب النفس » للترمذى ، تحقيق أ ج . آربرى . وعلى حسن عبد القادر (القاهرة ١٩٤٧ م) و Brockelmann, GAL I 216, II 666, Suppl. I 355, 955, Suppl. III 1203 ; Othman Yahya, 'L'Oeuvre de Tirmidi' in Mélanges Louis Massignon, vol. III (Damas, 1957) pp. 411-480.

(٢) انظر وصف هذا المخطوط فى M. Hidayat Husain, Catalogue of the Arabic Manuscripts in the Collection of the Royal Asiatic Society of Bengal, vol. II (Calcutta, 1949) , pp. 531 - 535.

٣ ـ أجوبة مسائل (المسائل التى سأله أهل سرخس عنها):

النسخ المخطوطة ـ (١) اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ [(١)] .

(٢) ليبزج رقم ٢١٢ [(٢)] .

(٣) الظاهرية تصوف رقم ١٠٤ .

٤ ـ الاحتياطات :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج ٥ ص ٣٣ .

٥ ـ أدب النفس :

النسخ المخطوطة ـ (١) تشستر بيتى .

(٢) اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

(٣) أسعد رقم ١٣١٢ .

النسخ المطبوعة ـ (١) «كتاب الرياضة وأدب النفس» ، تحقيق أ.ج. آربرى وعلى حسن عبد القادر (القاهرة ١٩٤٧) .

---

(١) انظر وصف هذا المخطوط فى Hellmut Ritter, " Philologika XIII " in Oriens, III (Leiden, 1950) pp. 30 - 35.

(٢) انظر وصف هذا المخطوط فى A. J. Arberry, 'Notes on a Tirmidi Manuscript' in Rivista degli Studi Orientali, XVIII (Rome, 1940) pp. 315 - 327.

٦ ـ الأكياس والمغترون:

النسخ المخطوطة ـ (١) الظاهرية تصوف رقم ١٠٤ .
(٢) اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .
(٣) ليبزج رقم ٢١٢ (غير كاملة)

٧ ـ الأمثال :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .
(٢) أسعد رقم ١٤٧٩ .

٨ ـ أنواع العلوم :

النسخ المخطوطة ـ (١) ولى الدين رقم ٧٧٠ .

٩ ـ بدء شأن أبي عبد الله (ترجمة الترمذى بقامه) :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

١٠ ـ بيان آداب المريدين :

مذكور فى ـ (١) « كشف المحجوب » للهجويرى ، الطبعة الفارسية ، ص ٤٣٩ .

١١ ـ بيان العلم :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

١٢ ـ بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب :

النسخ المخطوطة ـ (١) دار الكتب المصرية ، تصوف رقم ٣٦٧ .

١٣ ـ بيان الكسب :

النسخ المخطوطة ـ (١) الظاهرية ، تصوف رقم ١٠٤ .

١٤ ـ بيان المعرفة والصفاء :

مذكور فى (١) « معرفة الأسرار » للترمذى ق ٢١٧ ومن مخطوط قسطمونى .

١٥ ـ تاريخ المشايخ :

مذكور فى ـ (١) « كشف المحجوب » للهجويرى ، الطبعة الفارسيه ، ص ٥٠ .

١٦ ـ تبيان الأمثال :

النسخ المخطوطة ـ (١) الجمعية الأسيوية بكلكتة رقم ١٠٥٦ .

١٧ ـ تحصيل نظائر القرآن :

النسخ المخطوطة ـ (١) الاسكندرية ، فنون متنوعة رقم ١٤٥ .

١٨ ـ تفسير :

مذكور فى ـ (١) « كشف المحجوب » للهجويرى ، الطبعة الفارسية ، ص ١٧٨ .

(٢) « نفحات الأنس » للجامى ص١٣١

١٩ ـ التوحيد :

مذكور فى ـ (١) « كشف المحجوب » للهجويرى ، ترجمة نكلسن ، ص ١٤١ .

٢٠ ـ الجمل :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٢) منشستر رقم ١٠٦ ج .

٢١ ـ جواب كتاب من الرى :

النسخ المخطوطة ـ (١) اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

(٢) الظاهرية ، تصوف رقم ١٠٤ .

(٣) ليبزج رقم ٢١٢ .

٢٢ ـ الحج وأسراره :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

مذكور فى ـ (١) « الفروق » للترمذى ص ١٠٦ من مخطوط الاسكندرية .

٢٣ ـ الحقوق :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

٢٤ ـ الحكمة :

النسخ المخطوطة ـ (١) خراججى أوغلو رقم ٨٠٦ .

٢٥ ـ ختم الأنبياء :

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج٣ص١٣١ .

٢٦ ـ ختم الأولياء :

النسخ المخطوطة ـ (١) ولى الدين رقم ٧٧٠ .

(٢) فاتح رقم ٥٣٢٢ .

مذكور فى ـ (١) « حقائق التفسير » للسلمى ، ق ١٠٤ و من مخطوط الاسكندرية رقم ١٠١٨ ب .

(٢) « كشف الظنون » ج ٥ ص ٧٩ .

(٣) « كشف المحجوب » للهجويرى ، الطبعة الفارسية ، ص ١٧٨ .

(٤) « تذكرة الحفاظ » للذهبي ، ج ٢ ص ١٩٧ .

(٥) « نفحات الأنس » للجامى ص ١٣١ .

(٦) « طبقات الشافعية » للسبكى ، ج ٢ ص ٢٠ .

٢٧ ـ الرد على الرافضة (مختصر) :

النسخ المخطوطة ـ (١) ولى الدين رقم ٧٧٠ .

٢٨ ـ الرد على المعطلة :

النسخ المخطوطة ـ (١) الاسكندرية ، فنون متنوعة رقم ١٤٥ .

٢٩ ـ رياضة النفس :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ (غير كاملة) .

(٢) الظاهرية ، تصوف رقم ١٠٤ .

(٣) تشستر بيتى .

(٤) أسعد رقم ١٤٧٩ .

(٥) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٦) الخزانة التيمورية ، مجاميع رقم ٢٢٧ .

النسخ المطبوعة ـ (١) « كتاب الرياضة وأدب النفس » إخراج أ.ج.آربرى وعلى حسن عبد القادر (القاهرة ١٩٤٧) .

(٢) « حقيقة الآدمية » تحقيق عبد المحسن الحسينى ،

في مجلة كليــة الآداب ، جامعة الاسكندرية ج ٣
(١٩٤٦) ص ٥٠ ـ ١٠٨ .

مذكور في ـ (١) « أجوبة مسائل » للترمذى ص ٢٥٠ من مخطوط الظاهرية .

(٢) « كشف الظنون » ج ٣ص٥٢٢ .

٣٠ ـ سيرة الأولياء :

مذكور في ـ (١) « أجوبة مسائل » للترمذى ص ٢٥٠ من مخطوط الظاهرية .

(٢) « جواب كتاب من الرى » للترمذى ص ١٥٨ من مخطوط الظاهرية .

٣١ ـ شرح الصلاة :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس ٥٠١٨ .

(٢) أسعد رقم ١٤٧٩ .

مذكور في ـ (١) « طبقات الشافعية » للسبكى ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) « كشف الظنون » ج ٤ ص ٣٩ .

٣٢ ـ شرح قوله ما الإيمان والإسلام والإحسان :

النسخ المخطوطة ـ (١) اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

(٢) ليبزج رقم ٢١٢ .

٣٣ ـ صفة القلوب :

النسخ المخطوطة ـ (١) قسطمونى رقم ٢٧١٣[١] .

(٢) برلين رقم ٣١٣٠ (فقدت أثناء الحرب العالمية الثانية)

مذكور فى ـ (١) « إثبات العلل » للترمذى ق ٣ ظ ، ٤٣و من مخطوط برلين ٣٥٠٤ .

(٢) « أدب النفس » للترمذى (القاهرة ١٩٤٧) ص ١٠٤

٣٤ ـ طبقات الصوفية :

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج ٤ ص ١٤٨ .

٣٥ ـ عذاب القبر :

مذكور فى ـ (١) « كشف المحجوب » للهجويرى ، ترجمة نكلسن ص ١٤١ .

٣٦ ـ عرش الموحدين :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

---

(١) انظر وصف هذا المخطوط فى Ahmed Ates, " Kastamonu genel kitapliginda bulunan bazı mühim Arapça ve Farsça yazmalar " in Oriens, V (Leiden, 1952), pp. 28 - 33.

(٢) أسعد رقم ١٤٧٩ .

(٣) إسماعيل صائب رقم ٤٨٢٤ .

مذكور فى ـ (١) « المنتخب مما فى خزائن الكتب بحلب » تحقيق بول سباث (القاهرة ١٩٤٦) رقم ٦٢٧ (عرس الموحدين).

(٢) « كشف الظنون » ج ٤ ص ٣٢١ .

(٣) « طبقات الشافعية » للسبكى ج ٢ ص ٢٠ (غرس الموحدين) .

٣٧ ـ العقل والهوى :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٢) أسعد رقم ١٤٧٩ .

٣٨ ـ علم الأولياء :

النسخ المخطوطة ـ (١) دار الكتب المصرية ، مجاميع طلعت رقم ٦٩٤ .

(٢) الجمعية الآسيويه بكلكتة رقم ١٠٥٦ .

(٣) خراججى أوغلو رقم ٨٠٦ .

مذكور فى ـ (١) « إثبات العلل » للترمذى ق ٢١و من مخطوط برلين ،

٣٩ ـ العلوم :

مذكور في ـ (١) « الأكياس والمغترون » للترمذي ق ٧٥ و من مخطوط إسماعيل صائب .

٤٠ ـ غرس العارفين :

النسخ المخطوطة ـ (١) الجمعية الآسيوية بكلكتة رقم ١٠٥٦ .

مذكور في ـ (١) « إثبات العلل » للترمذي ق ١٧و من مخطوط برلين .

٤١ ـ غور الأمور (الأعضاء والنفس) :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٢) أسعد رقم ١٤٧٩ .

(٣) أسعد رقم ١٣١٢ .

مذكور في ـ (١) « منازل العباد » للترمذي ق ١٢٩ و من مخطوط باريس .

(٢) « كشف الظنون » ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٣) « طبقات الشافعية » للسبكي ج ٢ ص ٢٠ .

(٤) « شرح الصلاة » للترمذي ق ٩٥ظ من مخطوط أسعد رقم ١٤٧٩ .

٤٢ ـ الفرق بين الآيات والكرامات :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .

(٢) الجمعية الآسيوية بكلكتة رقم ١١١٦ (غير كاملة)[1] .

٤٣ ـ الفروق :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٢) الاسكندرية ، فقه شافعى رقم ٣٣ (غير كاملة) .

(٣) أسعد رقم ١٤٧٩ .

(٤) آيا صوفيا رقم ١٩٧٥ .

(٥) وحيد باشا رقم ٢٢٥١ .

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج ٤ ص ٤١٨ .

(٢) « طبقات الشافعية » للسبكى ج ٢ ص ٢٠ .

٤٤ ـ الكلام على معنى لا إله إلا الله :

النسخ المخطوطة ـ (١) خزينة رقم ١٧٦٢ .

(٢) ولى الدين رقم ٧٧٠ .

---

(١) انظر وصف هذا المخطوط فى Hidayat Husain, op. cit., p. 579.

٤٥ ـ مسائل (١) :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .
(٢) ليبزج رقم ٢١٢ .

٤٦ ـ مسائل (٢) :

النسخ المخطوطة ـ (١) ليبزج رقم ٢١٢ .

٤٧ ـ مسائل التعبير :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل صائب رقم ١٥٧١ .
(٢) ليبزج رقم ٢١٢ .

النسخ المطبوعة ـ (١) A. J. Arberry, "Notes on a Tirmidi Manuscript" in Rivista degli Studi Orientali, XVIII (1940), 315 - 327.

٤٨ ـ المسائل المكنونة :

النسخ المخطوطة ـ (١) الاسكندرية ، فنون متنوعة رقم ١٤٥ .
(٢) ليبزج رقم ٢١٢ .

٤٩ ـ مسألة فى الإيمان والإسلام والإحسان :

النسخ المخطوطة ـ (١) ليبزج رقم ٢١٢ .
(٢) ولى الدين رقم ٧٧٠ .

(٣) تشستر بيتى .

٥٠ ـ معرفة الأسرار :

النسخ المخطوطة ـ (١) قسطمونى رقم ٢٧١٣ .

٥١ ـ منازل العباد من العبادة (منازل القاصدين إلى الله) :

النسخ المخطوطة ـ (١) إسماعيل رقم ١٥٧١ .

(٢) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٣) أسعد رقم ١٤٧٩ .

٥٢ ـ منتخبات من كتاب الصفاء :

النسخ المخطوطة ـ (١) تشستر بيتى .

٥٣ ـ المنهاج فى العبادة :

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج ٦ ص ٢١٣ .

٥٤ ـ منهج فى . . .

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج ٦ ص ٢٢١ .

٥٥ ـ المنهيات :

النسخ المخطوطة ـ (١) باريس رقم ٥٠١٨ .

(٢) أسعد رقم ١٤٧٩ .

مذكور في ـ (١) « كشف الظنون » ج ٥ ص ١٥٩ .

(٢) « طبقات الشافعية » للسبكي ج ٢ ص ٢٠ .

٥٦ ـ النهج :

مذكور في ـ (١) « نفحات الأنس » للجامي ص ١٣١ .

(٢) « كشف المحجوب » للهجويري ، الطبعة الفارسية ص ١٧٨ .

٥٧ ـ نوادر الأصول :

النسخ المخطوطة ـ انظر (١) Brockelmann, GAL, I, 216 ;Suppl. I, 326

(٢) Max Weissweiler, Bibliotheca Islamica, X, 193, n. 1

النسخ المطبوعة ـ (١) « نوادر الأصول الملقب بسلوة العارفين و بستان الموحدين » (استانبول ١٢٩٣) مع شرح « مرقاة الوصول لنوادر الأصول » لمصطفى بن إسماعيل الدمشقي [1] .

---

(١) وهو مصطفى بن إسماعيل الدمشقي الشامي الحنفي . انظر ترجمته في « هدية العارفين » لإسماعيل باشا البغدادي (استانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ م) ج ٢ ص ٤٦٠ .

مذكور فى ـ (١) « كشف الظنون » ج ٦ ص ٣٨٥ .

(٢) « كشف المحجوب » للهجويرى ، الطبعة الفارسية ص ١٧٨ .

(٣) « نفحات الأنس » للجامى ص ١٣١ .

كتب منسوبة إلى الترمذى :

١ ـ الأدعية :

النسخ المخطوطة ـ (١) آيا صوفيا رقم ١٨١٤ .

٢ ـ الهداية إلى معرفة آداب الولاية :

النسخ المخطوطة ـ (١) الخزانة التيمورية ، مجاميع رقم ٢٢٧ .

٣ ـ نوادر أصول العرفان وزواهر فروع الإيقان :

النسخ المخطوطة ـ (١) فينا رقم ٦٤٠ .

* * *

كتاب « بيان الفرق » :

كتاب « بيان الفرق » وصف سيكولوجى للقلب ومقاماته الأربعة الداخلة فيه ، وكل واحد من هذه المقامات مرتبط بأحد أنوار الله . فالصدر ، أو المقام الخارجى ، مرتبط بنور الإسلام ؛ والقلب ، وهو من داخل الصدر ،

مرتبط بنور الإيمان ؛ والفؤاد ، وهو المقام الثالث ، مرتبط بنور المعرفة ؛ واللب ، وهو آخر المقامات من داخل ، مرتبط بنور التوحيد [١] .

وهذه المقامات الأربعة مرتبطة كذلك بمنازل العبد الأربع : المسلم ، والمؤمن ، والعارف ، والموحد . وهى مرتبطة أيضاً بحالات النفس الأربع المذكورة فى القرآن : النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس الملهمة ، والنفس المطمئنة .

والمخطوطة المعروفة لهذا الكتاب حتى الآن مخطوطة وحيدة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة [٢] مسطرتها إحدى وعشرون ، مكتوبة بخط نسخى متأخر . ولم يذكر اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها . وفى خزانة المكتب الهندى بلندن مصورة من هذه المخطوطة برقم ١٩ روتو .

والناسخ قد كتب هذه المخطوطة دون عناية ، فامتلأت بالكلمات المغلوطة والعبارات المحرفة . ولم أشر فى التعليقات ، عند إخراج هذه الطبعة ، إلى أخطاء الناسخ الظاهرة كتكرار بعض الكلمات و إغفال بعضها الآخر فى الآيات . فأما العبارات الأخرى التى تحتاج إلى إصلاح فقد أصلحت بعضها اجتهاداً منى فى الصلب وأشرت إلى أصلها فى التعليقات ، وأبقيت بعضها الآخر على حاله وأشرت إلى إصلاحه .

---

(١) قارن « شرح الفقه الأكبر » المنسوب إلى أبى منصور الماتريدى (حيدر آباد ١٣٢١ هـ) ص ٧ .

(٢) تصوف ٣٦٧ ، انظر « فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار » ج ١ (القاهرة ١٩٢٤ م) ص ٣٤٥ .

شكر وتقدير :

وأحب قبل أن أفرغ من هذه المقدمة الموجزة أن أشكر الذين أعانوا على إخراج هذه الرسالة وخاصة الأستاذ فؤاد سيد فى قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية، فعونه مبذول دائماً لكل المشتغلين بالدراسات الإسلامية من شرقيين أو مستشرقين . وكذلك الآنسة جين وطسن القائمة على شئون خزانة مخطوطات المكتب الهندى بلندن، كما أقدم جزيل الشكر للأستاذ فيليب حتى ، والأستاذ فرحات زيادة، والسيد عبده عبدالرحمن الخولى بجامعة برنستن؛ والأستاذ أ . ج . آربرى بجامعة كمبردج . وأختتم هذه المقدمة بشكر الأستاذ نور الدين شريبة من الأزهر على مابذل من جهد فى مراجعة الكتاب .

وأرجو أن أكون قد أسهمت بالقليل فى تجلية بعض ما غمض من تفكير الترمذى بنشرى هذا الكتاب وأرجو أن أوفق لنشر رسائله الأخرى حتى يستقيم طريق البحث للباحثين ، والله المسدد .

القاهرة فى { ٢٠ رجب ١٣٧٧
١٠ فبراير ١٩٥٨

نقولا هير

بَيانُ الفَرق
بين
الصَّدر والقلب والفؤاد واللُّب

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن

قال أبو عبد الله محمد بن على التِّرْمِذِى : أما بعد ، فإن بعض أهل العلم والفقه سألنى عن بيان الفَرْق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب ، وما وراءها من الشَّغاف ومواضع العلوم ؛ وأُحبّ أن أشرح له بتوفيق الله تعالى إذ هو مُيسِّر كل عسير و به أستعين .

[الفصلُ الأوّل]

اعلم ، زادك الله فقهاً فى الدين ، أن اسم القلب اسم جامع يقتضى مقامات الباطن كلها ، وفى الباطن مواضع [منها ما] هى من خارج القلب ومنها ما هى [من] داخل القلب؛ فأشبه اسم القلب اسم العين ، إذ العين اسم يجمع [ما] بين الشفيرتين من البياض والسواد والحدقة والنور الذى فى الحدقة. وكل واحد من هذه الأشياء له حكم على حدة ومعنى غير معنى صاحبه ، إلا أن بعضها معاونة لبعض ، ومنافع بعضها متصلة ببعض ؛ وكل ماهو خارج فهو أساس الذى يليه من الداخل ، وقوام النور بقوامهن . وكذلك اسم الدار اسم جامع لما يحفظ بحيطانها من الباب والدهليز وصحنها فى بيوتها وما فيها من المخدع والخزانة ،

وكل مكان وموضع فيها له حكم غير حكم صاحبه . وكذلك اسم الحرم اسم جامع للحرم من حوالى مكة والبلد والمسجد والبيت العتيق ، وفى كل موضع مناسك غير مايكون فى الموضع الآخر . وكذلك اسم القنديل اسم جامع للزجاجة، وفى القنديل موضع الماء غير موضع الفتيلة ، وموضع الفتيلة غير موضع الماء ، [٢و] وهو داخل موضع الماء ، والفتيلة هى التى يكون فيها النور ، وفى موضع الفتيلة دهن ليس فيه ماء ، وصلاحه بصلاح هذه الأشياء كلها ، إذا نقص منها واحد فسد ما سواه . وكذلك اسم اللوز اسم جامع للقشر الخارج الذى فوق القشر الصلب ، والقشر الثانى الذى هو مثل العظم والمخ ، واللب الذى فيه ، والدهن الذى فى داخل اللب .

فاعلم ، زادك الله فقهاً فى الدين ، أن لهذا الدين أعلاماً ومنازل ، ولأهله فيه مراتب ، وأهل العلم فيه على درجات . قال الله تعالى : « وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ »[1] وقال : « وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ »[2] . وكل علم[3] هو أرفع فموضعه فى القلب هو[3] أكنّ وأخصّ وأحرز وأخفى وأستر ، ولكن ذكر اسم القلب ينوب عن ذكر سائر المقامات عند عامة الناس .

---

(١) سورة ٤٣ آية ٣٢ .

(٢) سورة ١٢ آية ٧٦ .

(٣) فى الأصل « فهو أرفع فموضعه فى القلب فى موضع هو »

ولكن الصدر فى القلب هو [فى] المقام من القلب بمنزلة بياض العين فى العين ، ومثل صحن الدار فى الدار ، ومثل الذى يحوط بمكة ، ومثل موضع الماء فى القنديل ، ومثل القشر الأعلى من اللوز الذى يخرج اللوز منه إذا يبس فى الشجر . فهذا الصدر موضع دخول الوسواس والآفات ، كما يعيب بياض[١] العين آفة البثور وهيجان العرق وسائر علل الرمد ، وكما يوضع فى صحن الدار من الحطب[٢] والقماشات ، ويدخل فيها كل أحد من الأجانب أحياناً ، وكما يدخل السباع والبهائم فى ساحة الحرم ، وكما يقع [٢ظ] فوق الماء فى القنديل الفراش وغيره ، وإن [كان] فوق الماء دهن فأسفل موضعه الماء ، وكما تدب القملة والبعوض والذباب فى قشر اللوز الذى هو أعلى إذا انشقّ حتى صارت الهوامّ الصغار يدخلن فيه .

والذى يدخل فى الصدر قلما يشعر [به فى] حينه ، وهو موضع دخول الغل والشهوات والمنى والحاجات ، وإنه يضيق أحياناً وينشرح أحياناً ، وهو موضع ولاية النفس الأمّارة بالسوء ، [٣] ولها فيه [٣] مدخل [و] تتكلف[٤] أشياء [و] تتكبر[٥] وتُظهر[٦] القدرة من نفسها . وهو موضع نور الإسلام ، وهو موضع حفظ العلم المسموع الذى يُتعلم من علم الأحكام والأخبار وكل

(١) فى الأصل « ببياض » .
(٢) فى الأصل « الحطب »
(٣ـ٣) فى الأصل « وله فيها »
(٤) فى الأصل « يتكلف »
(٥) فى الأصل « يتكبر »
(٦) فى الأصل « يتظهر »

مايعبّر عنه بلسان العبارة ، ويكون أول سبب الوصول إليه التعلم والسمع . وإنما سمّى صدراً لأنه صدر القلب ، وأول مقامه كصدر النهار الذى هو أوله ، أو كصحن الدار الذى هو أول موضع منها . ويصدر منه[١] وساوس الحوائج ، وفِكَر الأشغال تصدر[٢] منه[١] إلى القلب أيضاً إذا استقرت[٣] وطالت[٤] المدة .

وأما القلب فهو المقام الثانى فيه ، وهو داخل الصدر ، وهو كسواد العين الذى هو داخل العين ، وهو[٥] البياض ، وكبلد مكة الذى هو داخل الحرم ، وكموضع الفتيلة من القنديل ، وكالبيت داخل الدار ، وكاللوز داخل القشر الأعلى . وهو معدن نور الإيمان ونور الخشوع والتقوى والمحبة والرضا واليقين والخوف والرجاء والصبر والقناعة ، وهو معدن أصول العلم [٣و] لأنه مثل عين الماء والصدر مثل الحوض ، يخرج من العين [إليه الماء] ، كالصدر[٦] يخرج من القلب إليه العلم ، أو يدخل من طريق السمع إليه . والقلب يهيج منه اليقين والعلم والنية ، حتى يخرج إلى الصدر . فالقلب هو الأصل والصدر هو الفرع ، وإنما يتأكد [٧] بالأصل الفرع [٧] ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فى الأصل « منها »
(٢) فى الأصل « يصدر »
(٣) فى الأصل « استقر »
(٤) فى الأصل « طالب »
(٥) أى الصدر
(٦) فى الأصل « كالطريق »
(٧ــ٧) فى الأصل « الأصل بالفرع »

« إنما الأعمال بالنيات »[١]، ففسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العمل الذى تعمله النفس إنما يرتفع مقداره بنية القلب ، وتضاعف الحسنة على قدر النية . والعمل للنفس ، ومنتهى ولايتها إلى الصدر بنية القلب وولايته . [و]ليس[٢] القلب فى[٢] يد النفس رحمة من الله تعالى ، لأن القلب هو الملك والنفس هى[٣] المملكة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « واليد جناح والرجلان بريد ، والعينان مصلحة ، والأذنان قمع ، والكبد رحمة ، والطحال ضحكة ، والكليتان مكر ، والرئة نفس ، فإذا صلح الملك صلحت جنوده ، وإذا فسد الملك فسد جنوده »[٤]، فبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القلب ملك . فالصدر للقلب كالميدان للفارس . و بيّن عليه السلام أن صلاح الجوارح بصلاح القلب وفسادها بفساد القلب ، فالقلب بمنزلة السراج وصلاح السراج بالنور ، وذلك النور نور التقى واليقين ، لأنه إذا خلا عن هذا النور كان القلب بمنزلة مسرجة طفىء نور سراجها . وكل عمل جاء من النفس [٣ظ] من غير قلب فإنه ليس بمعتبر فى حكم الآخرة ، وليس بمؤاخذ صاحبه إن كان معصية ولا مثاب إن كان طاعة ، كما قال الله تعالى : « يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ »[٥] .

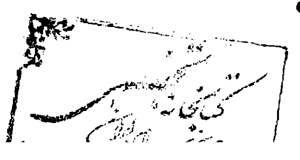
(١) انظر صحيح البخارى كتاب ٢ باب ٤١
(٢ـ٢) فى الأصل « القلب ليس فى »
(٣) فى الأصل « هو »
(٤) انظر « كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال » لعلاء الدين على المتقى حسام الدين الهندى حيدر آباد ١٣١٢ جزء ١ رقم ١٢٠٦ـ١٢٠٧
(٥) سورة ٢ آية ٢٢٥

ومَثَل الفؤاد فى القلب ، وهو المقام الثالث ، كمَثَل الحدقة فى سواد العين، وكمثل المسجد الحرام فى داخل مكة ، وكمثل المخدع والخزانة [فى] البيت ، وكمثل الفتيلة (١) فى موضعها وسط القنديل (٢) وكمثل اللب (٣) فى داخل اللوز . وهذا الفؤاد موضع المعرفة وموضع الخواطر وموضع الرؤية ، وكلما يستفيد الرجل يستفيد فؤاده أولا ، ثم القلب . والفؤاد فى وسط القلب كما أن القلب فى وسط الصدر ، مثل اللؤلؤة فى الصدف .

ومَثَل اللب فى الفؤاد كمثل نور البصر فى العين ، وكمثل نور السراج فى فتيلة القنديل ، وكمثل الدهن المكنون فى داخل لب اللوز . وكل واحد من هذه الأشياء (٤) الخارجة وقاية (٤) وستر للذى يليه (٥) من الداخل ، وكل واحد منهن يشا كل الباقيات الأُخر ، فهى (٦) أشكال متعاونات قريبة المعانى بعضها من بعض (٧) ، موافقات غير مخالفات ، لأنها أنوار الدين والدين واحد وإن كان مراتب أهله تختلف وتتنوع . وهذا اللب موضع نور التوحيد ونور التفريد ، وهو النور الأتمّ والسلطان الأعظم .

و بعد هذا مقامات لطيفة وأمكنة شريفة ولطائف ظريفة ، والأصل لهن جميعهن نور التوحيد ، فالتوحيد سِرّ والمعرفة بِرّ ، [٤و] والإيمان محافظة

(١) فى الأصل « القنديل »
(٢) فى الأصل « القنديلة »
(٣) فى الأصل « اللوز »
(٤ـ٤) فى الأصل « خارجة ووقاية »
(٥) فى الأصل « يليها »
(٦) فى الأصل « فهو »
(٧) فى الأصل « بعضهن »



السر ومشاهدة البر ، والإسلام الشكر على البر وتسليم القلب للسر ، لأن التوحيد سر بهداية [١] الله تعالى للعبد ودلالته إياه عليه ، لم يكن العبد يدركه بعقله لولا تأييد الله تعالى وهدايته له . والمعرفة بر من الله تعالى له إذ [٢] فتح الله له باب الآلاء والنعماء مبتدئاً من غير استحقاق من العبد لذلك . ومَنَّ عليه بالهدى حتى آمن بأن هذا كله من الله تعالى ، منَّه عليه نعمةً ومنةً ، لا يقدر [على] شكره إلا بتوفيق الله ، وذلك أيضاً نعمة جديدة مِنْه عليه ، فهو يشاهد بر الله ويحافظ سره ، إذ هو الموفق ، لأنه لا يدرك كيفية ربوبيته ، فعلم أنه واحد ، ويجتنب [٣] التشبيه والتعطيل والتكييف والتجنيف ، فهذا هو الإيمان الذى هو يشاهد البر ويحافظ السر . وإن الإسلام هو استعمال النفس فى بر الله بطاعته بالشكر والاستقامة وتسليم الربوبية إليه والإعراض [٤] عن إدراك السر والإقبال إلى العبودية والدوام على ما يقربه [٥] إليه ، لأن الإسلام إنما يقام بالنفس والنفس هى عمياء عن إدراك الحق ومشاهدته ، ولم يكلف النفس إدراك الحقائق ، ألا ترى أن العبد أُمر بالإيمان بالقلب ، ولم يكلف بإدراك [٦] ما آمن من جهة الكيفية ، إنما عليه الاتباع والفرار من الابتداع ، ويكفى من النفس التسليم فحسب .

---

(١) فى الأصل « ببداية »

(٢) فى الأصل « إذا »

(٣) فى الأصل « يجتنب عن »

(٤) فى الأصل « الاعتراض »

(٥) فى الأصل « تقربه »

(٦) فى الأصل « لإدراك »

والمقامات المسكوت عنها التى وراء هـذه المقامات المذكور [٤ ظ] بعضها إنما يبصر[ها] عبد موفَّق بفهم هذه المقامات الموصوفة بهذه الأمثال المعروفة ، يعينه الله تعالى ويؤيده ليفهمها ، وتـكون (١) هذه المقامات التى وراء هذه المذكورات كزيادة صفو الماء إذا لبث فى الآنية ، فبهذه الأمثال يدرك طريق السر المسكوت عنه .

[الفصل الثانى]

وإن المؤمن قد ابتلى بالنفس وأمانيها،وأعطيت [النفس] ولاية التكلف بالدخول فى(٢) الصدر . والنفس(٢) معدنها فى الجوف وموضع القرب،وهيجانها من الدم وقوة النجاسة ، فيمتلىء الجوف من ظلمة دخانها وحرارة نارها ، ثم تدخل(٣) فى الصدر بوسوستها وأباطيل أمانيها ابتلاء من الله إياه حتى يستعين العبد بصدق افتقاره ودوام تضرعه لمولاه ، فيجيبه الله تعالى ويصرف عنه شرها . وكذلك الشيطان ، يدخل بوسوسته فى صدر العبد ، وهو آخر ولاية حد النفس ، لأن النفس الأمّارة بالسوء شكل الشيطان ، وهما شيطانان ، قال الله تعالى : « شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ » الآية(٤) . وإن الله جل وعلا رحم عبده المؤمن حيث لم يجعل قلبه فى يد نفسه ، وإنما هو برحمته يتولاه ، ويبتليه

---

(١) فى الأصل « كون »

(٢ـ٢) فى الأصل « الصدر فى الجوف والنفس »

(٣) فى الأصل « يدخل »

(٤) سورة ٦ آية ١١٢

بدخول [الشيطان و] وسوسته فى صدره ليعلمه قليلا من حقارة قدره ويريه تمام فقره. وتصديق ذلك قوله عز وجل : « وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ »[١] يعنى ، والله أعلم ، بوساوس الشيطان والنفس، « وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ »[١] وهو طهارة القلب بنور الإيمان ، وقال جل وعز : [٥و] « ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ »[٢] .

اعلم أن انشراح الصدر والضيق إنما يضاف إليه ولا يضاف إلى القلب. قال الله تعالى : « فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ »[٣] ، وقال : « فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ »[٤] ، وقال : « وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ »[٥] ، وأخبر عن كليمه موسى عليه السلام أنه قال : « رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي »[٦] ، فأضافه الله الضيق إلى الصدر . وضيق صدر النبي عليه السلام وصدر الكليم لا يكون من جهة الوسواس الذى يكون لعامة المسلمين ، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عصمهم ربهم من وسواس الشيطان ومنازعات النفوس ، ولكن

(١) سورة ٣ آية ١٥٤
(٢) سورة ١١٤ آية ٥
(٣) سورة ٧ آية ٢
(٤) سورة ١١ آية ١٢
(٥) سورة ١٥ آية ٩٧
(٦) سورة ٢٦ آية ١٢-١٣

كانت تضيق صدورهم إذا سمعوا الكفار يذكرون لله شريكا أو يكذبونهم[١] إذا ذكروا وحدانية الله تعالى . ولا غاية لضيق الصدر إذا ضاق ، وصدر كل واحد يضيق على قدر جهله وغضبه ، وكذلك[٢] لا غاية لسعته إذا انشرح بهدى الله تعالى ، فإذا ضاق عن الحق اتسع للباطل ، وإذا ضاق عن الباطل اتسع للحق . ألا ترى إلى ما ذكر الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ »[٣] ، فمنّ الله بشرح صدره بأنوار حق الإسلام حتى ضاق صدره عن وسع الباطل . وصدر المؤمن يضيق أحياناً من كثرة الوسواس والغم والشغل وتتابع الحوائج وبلوغ الحوادث وإصابة المصائب ، [٥ظ] ويضيق أيضاً إذا سمع باطلا [ف] لا يحمل قلبه ذلك ، لأن الله تعالى وسع صدره بنور الإسلام « فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ »[٤] ، وأما صدر الكافر والمنافق فإنه امتلأ من ظلمات الكفر والشرك والشك ، واتسع لها ، فلم يبق فيه[٥] مكان لنور الإسلام ، وضاق عن وسع نور الحق فيه . قال الله عز وجل « وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ »[٦] ، وقال : « فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ

---

(١) فى الأصل « يكذبوهم »
(٢) فى الأصل « وذلك »
(٣) سورة ٩٤ آية ١
(٤) سورة ٣٩ آية ٢٢
(٥) فى الأصل « فيها »
(٦) سورة ١٦ آية ١٠٦

يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً »[١] ، فبيَّن الله تعالى أن الصدر إذا امتلأ[٢] من ظلمات[٢] الكفر ضاق عن وسع أضدادها من الأنوار .

وصدر المؤمن مكان نور الإسلام فيه . والإسلام اسم جامع لدين الله تعالى ، ويضيفه للعبد أيضاً لقوله عليه السلام « الإسلام[٣] إقرار باللسان وعمل بالأركان مع تصديقه بالإيمان ومشاهدته بعض صنائع الرحمن »[٤] ، كما أن العين والحرم والدار والقنديل واللوز أسماء جامعة . والإسلام اسم عام يشتمل على الإيمان والقول باللسان والعمل بالأركان . ولكن الإسلام له ظاهر وباطن ، فظاهره ربما حمله المنافق وشرك أهل الإسلام فيه ظاهراً وهو فى الباطن كافر ، قال الله تعالى : « قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا »[٥] ، فبيّن الله تعالى أنهم لم يؤمنوا بعد إلا أنهم أسلموا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم . وأما باطن الإسلام فهو الانقياد لرب الأنام وتسليم النفس والقلب لما يجرى عليه من [٦ و] الأحكام ، قال الله تعالى : « بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ »[٦] ، فهذا هو المسلم حقا الذى يشا كل نور إسلامه

---

(١) سورة ٦ آية ١٢٥

(٢–٢) فى الأصل « من شىء وهو »

(٣) فى الأصل « الإيمان »

(٤) قارن «المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى» للدكتور أ.ى. ونسنك ، ليدن ١٩٣٣ جزء ٢ ص ٣٠٣

(٥) سورة ٤٩ آية ١٤

(٦) سورة ٢ آية ١١٢

نور الإيمان و [نور] الإحسان ، فتعاونت وتواصلت وتشاكلت . قال الله تعالى فى قصة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : « إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا »[١] ، وفى قصة إبراهيم : « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ »[٢] . فهؤلاء خاصة الله طالبهم الله بالاستقامة على حقيقة الإسلام ، وهو أنهم[٣] تبرءوا من حولهم وقوتهم ، فأسلموا ظاهرهم وباطنهم لله . والدليل على أن الإسلام والإيمان ، وإن كانا مختلفى الاسمين فهما شكلان فى المعنى ، قول[٤] الله تعالى : « وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ »[٥] ، وقوله تعالى : « وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ »[٦] ، وقوله تعالى : « فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » الآية[٧] . والإيمان على تعارف العامة وعلى وجه الشريعة هو التصديق بالحق وقبوله بالقلب والإقرار باللسان أنه حق ، والإسلام هو الانقياد للحق بالنفس والقلب والإقبال إليه والاستقامة عليه والاجتناب عما يخالفه .

---

(١) سورة ٥ آية ٤٤
(٢) سورة ٣٧ آية ١٠٣
(٣) فى الأصل « أن »
(٤) فى الأصل « قال »
(٥) سورة ١٠ آية ٨٤
(٦) سورة ٢٨ آية ٥٣
(٧) سورة ٥١ آية ٣٥–٣٦

والصدر أيضاً موضع الغل والجناية ، لأن النفس ذات غل [١] وجناية ولها ولاية فى الصدر بالدخول ، وهو من جهة الابتلاء ، وقد ذكر فيما تقدم . قال الله تعالى فى صفة أهل الجنة : « وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ » [٢] حتى يدخلوا [٣] الجنة بلا غل . وقلب المؤمن [٦٦ظ] محفوظ من الغل لأنه موضع الإيمان ، إلا أن الله تعالى أمر عباده أن يدعوه ويسألوه أن لا يجعل فى قلوبهم غلا . قال الله تعالى : « وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا » [٤]. وأحب أن يدعوه ويخافوه ليطهر قلوبهم ، ولم يضمن [٥] لهم حفظ صدورهم من الوسواس ليعرفوا منة الله عليهم ، ويحفظ قلوبهم ليستغيثوا إليه من وساوس الصدور ليزدادوا [٦] عزا وشرفاً بالله إذا طهر قلوبهم ومحصها ، ويزدادوا [٧] ذلا فى أنفسهم . قال الله تعالى : « وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ » [٨] ، فبين الله أن الشفاء يكون للصدور التى هى موضع الغل ، وقال أيضاً : « قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ » [٩].

---

(١) فى الأصل « دغل »
(٢) سورة ٧ آية ٤٣ وسورة ١٥ آية ٤٧
(٣) فى الأصل « يدخل »
(٤) سورة ٥٩ آية ١٠
(٥) فى الأصل « يظمن »
(٦) فى الأصل « ليزدادون »
(٧) فى الأصل « ويزدادون »
(٨) سورة ٩ آية ١٤ـ١٥
(٩) سورة ١٠ آية ٥٧

فقلب المؤمن سليم وصدره سليم ، وقلب الكافر والمنافق ميت وسقيم ، وصدره فيه ظلم عظيم ، قال الله تعالى : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » (١) ، وقال : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (٢) ، وقال : « إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ » (٣) .

واعلم أن كل علم لايوصل إليه إلا بالتعلم والتحفظ والاجتهاد والتكلف من جهة السمع والخبر قرآنا كان أو حديثاً أو غيره ، فإن موضعه الصدر ويجوز عليه حكم النسيان ، قال الله تعالى : « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ » (٤) . وهو العلم الذى تتهيأ (٥) عبارته وقراءته وروايته و بيانه ، ويمكن فى صاحبه النسيان ، لأن النفس هى التى تحمله وتحفظه ، وهى مطبوعة على النسيان ، فربما ينساه بعد التحفظ و بعد جهد كثير . والصدر فى هذا [٧و] المعنى (٦ كظهر القلب ٦) ، يقال فلان يقرأ عن (٧) ظهر قلبه . [و] مع هذا الجهد ربما غلط وسها وشك فى محفوظه . والصدر أيضاً من القلب كالصدفة من اللؤلؤة ، ربما دخل فى الصدفة شيء غير اللؤلؤة مثال الماء وما يشبهه ،

---

(١) سورة ٥ آية ٥٢ وسورة ٢ آية ١٠ الخ
(٢) سورة ٣١ آية ١٣
(٣) سورة ٤٠ آية ٥٦
(٤) سورة ٢٩ آية ٤٩
(٥) فى الأصل « تهيا »
(٦–٦) فى الأصل « كظهره »
(٧) فى الأصل « على »

ثم يخرج منها (١ وليس فى اللؤلؤة موضع غير تدخل فيها شىء اللهم إلا أن يرفع فحينئذ يصير موضعه خالياً يسع فى مكانها شىء آخر ١) .

[الفصل الثالث]

والعمى والبصر يضاف إلى القلب ولا يضاف إلى الصدر ، قال الله تعالى : « فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ »[٢] ، هذا هو الطريق الظاهر . وأما من جهة مجاز اللغة وتعارف الناس ربما (٣ يعبر بلفظة ٣) الصدر عن القلب ، قال الله تعالى : « قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ »[٤] ، وقال : « وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ »[٥] ، وقال : « وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ »[٦] . وعنى بذلك القلب ، ولكن عنى بها كلها قلوب الكفار ، لأن صدورهم[٧] وقلوبهم صادة موصدة[٨] لخلوها عن نور الهدى .

(١ــ١) هكذا فى الأصل ولعل المراد « ليس فى الصدفة موضع غير موضع اللؤلؤة يدخل فيه شىء إلا أن ترفع اللؤلؤة فحينئذ يصير موضعها خاليا يسع فى مكانها شيئا اخر »

(٢) سورة ٢٢ آية ٤٦

(٣ــ٣) فى الأصل « يعبر عنه بلفظة »

(٤) سورة ٣ آية ٢٩

(٥) سورة ٣ آية ١١٨

(٦) سورة ٢٨ آية ٦٩

(٧) فى الأصل « صدوهم »

(٨) فى الأصل « واحدة »

وهذا النوع من العلم لا يستقر فى الصدر [١] ولا يتمكن فيه إلا بعد التكرار وجهد الاعتبار والمواظبة عليه ، لأنه مثل الطريق وخاصة لما دخل فيه [من] الخارج مثل المسموع . فأما [ما] خرج إليه من داخل القلب من لطائف الحكمة وشواهد المنة فاستقراره فى الصدر متمكن ، وإنما لا يثبت فى الصدر [٢] هذه الأحوالُ لأنه موضع ورود الأشغال والحوائج [٣] لأنه كالفناء [٣] للبيت [٧ظ] الذى فى الدار ، وقد يدخل فى الدار من الخدم والحشم والجيران والأجانب وغيرهم فى أوقات ولا يدخل فى البيت الذى يدخل فيه صاحبه إلا ذو رحم أو محرم أو قريب أو صديق . وقد يُعبّر من جهة مجاز اللغة أيضاً بالنفس عن القلب ، قال الله تعالى فى قصة عيسى عليه السلام : « تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي » [٤] يعنى تعلم ما فى قلبى ، وقال : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ » [٥] يريد به القلب ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل تجاوز عن أمتى ما حدثت به أنفسها » [٦] ، فبان لك أن المراد من الحديث وساوس الصدور التى لا تستقر . فأما ما استقر

---

(١) فى الأصل « الصدور »
(٢) فى الأصل « الصدور »
(٣-٣) فى الأصل « لأنها كالفقا »
(٤) سورة ٥ آية ١١٦
(٥) سورة ٢ آية ٢٣٥
(٦) المعجم المفهرس جزء ١ ص ٤٠١

فى القلب فإنه يُسْأَل عنه ويُحاسب ، قال الله تعالى : « إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » [١] .

وكل علم تحمله النفس و يعيه [٢] الصدر فإن النفس تزداد به تكبرا وترفعا [٣] وتأبى قبول الحق ، وكلما ازدادت علما ازدادت [٤] حقداً [٥] على الإخوان وتمادياً على الباطل والطغيان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لهذا العلم طغياناً كطغيان المال » واعلم أن العلم إذا قل نفعه اشترى به صاحبه الثمن القليل وأعرض عن طاعة الله . وهذا العلم إنما تعلمه لإقامة الشريعة وتأديب النفس وإصلاحها ومنعها عن الجهل ومعرفة حدود أحكام الدين [و] قوام ظاهر الدين . و إنما تكثر منفعته وتزداد وتعظم إذا كشف الله له [علم] الباطن ، علم القلب ، وهو العلم النافع . ألا ترى إلى ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العلم علمان علم باللسان فذلك حجة الله على خلقه وعلم بالقلب فذلك العلم النافع » [٦] . وتعوّذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم إنى أعوذ بك من

(١) سورة ١٧ آية ٣٦
(٢) فى الأصل « يعينه »
(٣) فى الأصل « ترافعا »
(٤) فى الأصل « ازداد »
(٥) فى الأصل « حسدا »
(٦) كنز العمال جزء ٥ رقم ٤٠٥٠ ، ٤٣٣٨ — ٤٣٣٩ و « كتاب الأربعين فى التصوف » لأبى عبد الرحمن السلمى ، حيدر آباد ١٩٥٠ ، ص ٥ .

علم لاينفع »[(١)] ، [٨و] وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم « نعوذ بالله من منافق عليم اللسان جهول القلب »[(٢)]. فهذا كله دليل على أن المسموع الذى يحمله إنما هو حجة الله على النفس وهو يشترى به[(٣)] الدنيا و يستغنى به عن الدين [الذى] هو أنفع له ، ولا يعمل به حتى يكشف الله له من العلم النافع ، ورُوى عنه عليه السلام أنه قال « من عمل بما يعلم أورثه الله علم مالم يعلم » .

[(٤]ثم اعلم[٤)] أن القلب لا غاية لغور بحاره ولا عدد لكثرة أنهاره ، ومثل[(٥)] الحكماء فى البحار كالغوّاصين ، ومثلهم فى الأنهار كمثل السقّائين[(٦)] والصيّادين ، فكل يستخرج و يجد منها على قدر ما يرزقه الله منها . فمنهم من يُكشف له من جواهر معرفة عيوب الدنيا وسرعة انقلابها وكثرة غرورها وقلة ثباتها وتعجيل زوالها ، [و] يُكشف له من معرفة مكائد الشيطان وأصناف[(٧)] وساوسه . ومنهم من يُكشف [له] من طريق معرفة مراتب أهل التقوى ودرجات أهل العلم ومكارم الأخلاق وحسن معاملة الخلق عند مساويهم واحتمال الأذى والسخاوة بالدنيا والإيثار على نفسه كائناً من

---

(١) كنز العمال جزء ١ رقم ٣٦٣٣
(٢) قارن كنز العمال جزء ٥ رقم ٤٤٤٠ ، ٤٤٤١ ، ٤٧٩٣ ، ٤٨٠١
(٣) فى الأصل « فيه »
(٤-٤) فى الأصل « ثم إن اعلم »
(٥) فى الأصل « وكثل »
(٦) فى الأصل « الشواين »
(٧) فى الأصل « أضعف »

كان وخوف النـار ومحاربة الشيطان ومجاهدة النفس ومخالفة هواها ومتابعة الرسول وأصحابه والتمسك بالسنة . ومنهم من يُكشف له من [طريق] التحدث بنعم الله وذكر آلائه ودفع بلائه وكثرة عطائه وجميل ستره وطول حلمه وعظيم عفوه وسعة رحمته وما أشبهها من هذا [...] ومنهم من يكشف له [من طريق] مشاهدة ما سبق له من الله فى أزليته وقدمه من ذكره إياه ومن حسن نظره إليه واجتبائه واختياره واصطفائه [...] . ومنهم [من] يكشف له من طريق مشاهدة الحقائق من أفعال الربوبية ، فيشاهد آثار قدرته فى الأشياء كلها وجميل صنعه وما أشبه هذا الجنس . ومنهم من يكشف له (١ من طريق ١) مشاهدة عظمة الله وجلاله ، [...] يعظم قدرته وحقارة قدر خلقه فى جنب عظمته ورؤية (٢) فقر الخلق [...] وفاقتهم وحاجتهم إليه وقوته وغنائه عنهم وسعة خزائنه وكفايته وحسن [...] فى أمورهم . ومنهم من يكشف [له] من جهة رؤية التوفيق وحلاوة [...] ورؤية عصمته (٣) [...] الضلالة والكفر والأهواء . ومنهم من يكشف له من طريق مشاهدة فردانيته ووحدانيته فقط ، حتى لا يرى فى سره [...] ، فيتلاشى قدر من دونه فى

(١ــ١) فى الأصل « من كل طريق »

(٢) فى الأصل « رؤيته »

(٣) فى الأصل « عظمته »

سره حين يشاهد الله جل جلاله ، فيرى قدمه وكماله و بقاءه ، و يرى حدوث الخلق وفناءهم .

وجميع هذه الوجوه ليس لبحارها غاية ولا لجواهرها نهاية وقد قال جل جلاله : « يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو ٱلْأَلْبَابِ »[1] . وهذه الوجوه كلها ، ما يجرى [منها] على لسان الحكيم ، كمثل [2] البحر يموج منه [2] الزبد فينبذه البحر فينتفع به الإنسان ، فكذلك الحكيم [٩و] ما يجرى من الحكمة على اللسان و يعبّر للخلق على لسان البيان كزبد يهيج من بحر القلب ، وزبد البحر ينتفع به من كان به رمد العين ، فكذلك ينتفع من فى قلبه مرض حب الدنيا ورمدت [3] عينا قلبه بقول [4] الحكيم ، [و] يشفى الله تعالى صدره مما فيه من الأمراض من حب الشهوات ومثله [5] من الآفات .

فهذا طريق باطن العلم وظاهره ، ولا يستغنى أحدهما عن الآخر ، لأن أحد العلمين بيان الشريعة وهو حجة الله تعالى على خلقه ، والآخر بيان الحقيقة التى وصفتُ بعضَها ، فعمارة القلب والنفس بهما جميعاً ، وصلاح ظاهر الدين

---

(١) سورة ٢ آية ٢٦٩
(٢ـ٢) فى الأصل « البحر يموج عنه يموج منه »
(٣) فى الأصل « رمده »
(٤) فى الأصل « يقول » .
(٥) فى الأصل « مليه »

وقوامه بعلم الشريعة وصلاح باطنه وقوامه بالعلم الآخر ، وهو علم الحقيقة ، والدليل على ذلك أن صلاح الدين بصحة التقوى ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « التقوى هاهنا » وأشار بيده إلى قلبه . فمن اتقى بالعلم الظاهر وأنكر العلم الباطن فهو منافق ، ومن [اتقى] بالعلم الباطن ولم يتعلم العلم الظاهر ليقيم به الشريعة وأنكرها فهو زنديق ، وليس علمه فى الباطن علماً فى الحقيقة ، إنما هو وساوس يوحى [بها] الشيطان إليه . قال الله تعالى : « وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ »(١) . وأما من كان مسلماً مؤمناً صالحاً عارفاً ، آمن بكتاب الله و [سنة] رسوله [و] تمسك بالشريعة وعمل بها واقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه واتبع الأئمة من أصحابه وشاهد بقلبه مع الله تعالى على سبيل الافتقار والافتخار به ورؤية [٩ظ] الاضطرار من نفسه وترك الاختيار وصحبة الملك الغفار . وقد وفقنى الله بمنته حتى بالغتُ فى الشرح والبيان بين الصدر والقلب .

والقلب هو معدن نور الإيمان ، قال الله تعالى : « أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ »(٢) ، وقال : « وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ »(٣) ، وقال : « وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ »(٤) .والقلب هومعدن

---

(١) سورة ٦ آية ١٢١
(٢) سورة ٥٨ آية ٢٢
(٣) سورة ٤٩ آية ٧
(٤) سورة ١٦ آية ١٠٦

التقوى والسكينة [١] والوجل والإخبات واللين [٢] والاطمأنينة والخشوع والتمحيص والطهارة. قال الله تعالى : « وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا » [٣] وأشار بالإلزام [٤] إلى قلوبهم ، وقال : « هُوَ ٱلَّذِى أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ » [٥] ، وقال : « فَعَلِمَ مَافِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ » [٦] ، وقال فى قصة الخليل عليه السلام : « وَلَـٰكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِى » [٧] ، وقال : « وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا » [٨] ، وقال : « أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى » [٩] . وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقوى إلى قلبه ، وقال عز وجل : « إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ » [١٠] .

وأصل التقوى فى القلب ، وهى [١١] التقوى من الشك والشرك والكفر والنفاق والرياء . وقال فى الطهارة : « ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ » [١٢] ، وقال:

---

(١) فى الأصل « بالسكينة »
(٢) فى الأصل « الدين »
(٣) سورة ٤٨ آية ٢٦
(٤) فى الأصل « اللزام »
(٥) سورة ٤٨ آية ٤
(٦) سورة ٤٨ آية ١٨
(٧) سورة ٢ آية ٢٦٠
(٨) سورة ٥ آية ١١٣
(٩) سورة ٤٩ آية ٣
(١٠) سورة ٥ آية ٢٧
(١١) فى الأصل « هو »
(١٢) سورة ٣٣ آية ٥٢ .

« أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ »[1]، وقال : « وَلِيُمَحِّصَ مَافِي قُلُوبِكُمْ »[2] ، [وقال] في الوجل : « وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ »[3] ، وقال : « وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ »[4] ، وقال في الإخبات : « فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ »[5]، وقال في اللين : « ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ »[6]، وقال في عدم الفقه : [١٠و] « لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا »[7] ، وقال في الخشوع : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ »[8]. ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي وهو يعبث بلحيته فقال « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »[9] ، وقال أهل التفسير إن معنى الخشوع الخوف الدائم في القلب[10].

اعلم ، رحمك الله ، أنه ليس من خلق الله شيء أطيب من قلب طيب بنور التوحيد والمعرفة والإيمان ، ولا أطهر ولا أنظف ولا أتقى ولا أصفى ولا

---

(١) سورة ٥ آية ٤١
(٢) سورة ٣ آية ١٥٤
(٣) سورة ٢٣ آية ٦٠
(٤) سورة ٨ آية ٢ وسورة ٢٢ آية ٣٥
(٥) سورة ٢٢ آية ٥٤
(٦) سورة ٣٩ آية ٢٣
(٧) سورة ٧ آية ١٧٩
(٨) سورة ٥٧ آية ١٦
(٩) كنز العمال جزء ٢ رقم ٧٦٦
(١٠) انظر تفسير الطبري ، القاهرة ١٣٢٣ ـ ١٣٢٩ ، جزء ٢٥ ص ٨ ، جزء ١٨ ص ٢ .

أوسع إذا طهّره الله من الأنجاس وتولى إحياءه بنور الحق وحفظه وحرسه وزاد فيه من الفوائد[١] ، وهو قلب المؤمن ، وليس لأنواره غاية وليس شيء أخبث منه ولا أنتن ولا أنجس إذا خذل الله صاحبه ، ولم يتول حفظه ، ووكله إلى الشيطان ، وهو قلب المنافق والـكافر ، لأنه معدن الشرك والشك والنفاق والريب والمرض . قال الله تعالى : « إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ »[٢] ، وقال : فى المنافقين : « إِنَّهُمْ رِجْسٌ »[٣] ، وقال [فى] معنى الريب : « وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ »[٤] ، وقال فى معنى الإنـكار : « قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ »[٥] ، وقال فى معنى المرض : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ »[٦] . وأصل جميع الذنوب قساوة القلب ، قال الحـكيم[٧] « إن القلب إذا قسى لا يبالى إذا أساء» . والقلب إذا استنار بنور الله ونور الإيمان تولى [الله] حفظه ، وملأه محبة وخشية ، وأقفل عليه قفل القدرة ، ووضع مفتاح المشيئة فى خزانة غيبه ، ولا يطلع عليه أحد إلّا فى وقت سكرة الموت ، فحينئذ يظهر[٨] له مافى غيبه . و إن القلب إذا [١٠ ظ]

---

(١) فى الأصل « الفؤاد »

(٢) سورة ٩ آية ٢٨

(٣) سورة ٩ آية ٩٥

(٤) سورة ٩ آية ٤٥

(٥) سورة ١٦ آية ٢٢

(٦) سورة ٢ آية ١٠ وغيرها

(٧) لعله لقمان الحـكيم الوارد ذكره فى القرآن سورة ٣١ آية ١٢ — ١٣

(٨) فى الأصل « تظهر » .

امتلأ من ظلمات الكفر والشك والنفاق ، قيّض الله لصاحبه شيطاناً ، فتولى حفظه وأقفل عليه قفل الخذلان ، والله يعلم عاقبته ، وما يؤول إليه أمره ، لا يظهر ذلك لأحد إلى أن يغرغر ، وذلك سر الله لا يطلع عليه غير . فكم من كافر بعيد وُفّق بالإيمان فيموت سعيداً ، وكم من مؤمن قريب يخذله ربه فيموت شقياً .

واعلم ، رحمك الله ، أن قدرة الله نافذة ، وأنه لم يطلع على مراده ومشيئته فى خلقه وخواتم أعماله إلّا طائفة من الأنبياء ، وذلك علامته لصحة نبوتهم . وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرة من أصحابه أنهم من أهل الجنة كرامةً من الله وفضلا منه عليه [1] .

واعلم أن مدار تأكد وجوب الثواب والعقاب بالقلب ، وفعله بالنفس تبعة ، قال الله تعالى : « وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ » [2] وإنما هذا فى أحكام الآخرة . وأما حكم الدنيا فالنفس تؤاخذ فى أفعالها ، وأما فيما بين العبد وبين ربه فإن الحكم بما فى القلب . قال الله تعالى فى شأن عمار بن ياسر [3] : « إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » [4]، فبين الله عذره

---

(١) انظر كنز العمال جزء ٦ رقم ٢٧٢٤ ــ ٢٧٢٥ ، ٦٣٧١ ــ ٦٣٧٨

(٢) سورة ٢ آية ٢٢٥

(٣) انظر تفسير الطبرى جزء ١٤ ص ١٢٢ وانظر ترجمته فى كتاب «صفة الصفوة» لابى الفرج ابن الجوزى ، حيدر آباد ١٣٥٥ ــ ١٣٥٦ هـ ، جزء ١ ص ١٧٥

(٤) سورة ١٦ آية ١٠٦ .

أنه لم يضره ذلك لا طمأنينـة قلبه على صدق الإيمان . و يثاب العبد لعمله [١] بالأركان إذا صحت نية قلبه على ذلك بنور الإيمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يثاب الناس على قدر نياتهم » ، و « إنما الأعمال بالنيات » ، و « لاعمل [لـ]من لانية له » .

فالصدر موضع يصدر إليه علم العبارة ، والقلب معدن العلم [١١و] الذى تحت علم العبـارة ، وهو علم [٢] الحـكمة والإشارة . وعلم العبارة حجة الله على الخلق ، يقول الله لهم: ماذا عملتم فيماعلمتم؟ وعلم الإشارة محجة العبد إلى الله بهداية الله تعالى له ، إنه منّ عليه بكشف قلبه بمشاهدة غيبه ورؤية ماوراء حجبه ، كأنه [٣] يرى ذلك كله بعينـه ، حتى لو كشف له الغطاء لما زاد فى نفسه ، فالقلب موضع [علم الإشارة . ومعنى] علم العبارة أن يعبّر باللسان ، ومعنى علم الإشارة أن يشير بقلبه إلى ربو بيته ووحدانيته وعظمته وجلاله وقدرته وجميع صفاته وحقائق صنعته وفعله .

ومعدن نور الإيمان ونور القرآن معدن واحد ،وهو القلب ، وكلاالنورين شكلان ، قال الله تعالى : « مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا ٱلْـكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَـٰكِنْ

---

(١) فى الأصل « لعلمه »
(٢) فى الأصل « على »
(٣) فى الأصل « كأن » .

جَعَلْنَاهُ نُوراً »[١] فجمع بين النورين بالهاء[٢] كناية الواحد . ومعنى الإشارة أنه مُذ أشار الى ربه بالربوبية لم يكفر به ولم يشكر غيره ولا يرجو أحداً سواه . واعلم أن نور القلب [على] سبيل الكل لايتجزأ ولا يتبعض لأنه أصل يجيء كله إذا جاء ويذهب كله إذا ذهب. وكذلك ظلمة الكفر ، لأنها أصل كل مصيبة إلا أن تذهب[٣] ، [و] ربما يضعف ويتهمأ ويتبعض سلطانها مثل السراج إذ هو سراج واحد إن زاد ولاية نوره أو نقصت[٤]. وأما نور الصدر وظلمته فإنه يزيد وينقص ، لأن هذا فرع وهو بالنفس يقام ، [١١ظ] وعُيِّن به الإسلام . [ومنه] يدخل النقصان فى هذا الوجه من الدين ، وربما يزيدفيه، والدليل على ذلك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن النساء فقال « هن ناقصات العقل والدين »[٥] وإنما المراد منه فرع الدين فى أيام الحيض والنفاس . فبان لك أن أنوار الصدور على وجوه ، والعمل بها على المواقيت والمقادير . فمن أراد علماً منه ازداد فى صدره نوره على مقدار ذلك ، وينقص أيضاً نوره [٦] بترك استعماله [٦] ، لأن حامل هذا النوع من العلم هى النفس ، فكما أنها تزيد وتنقص فكذلك أفعالها وصفاتها تزيد وتنقص .

---

(١) سورة ٤٢ آية ٥٢
(٢) فى الأصل « بها »
(٣) فى الأصل « يذهب »
(٤) فى الأصل « نقص »
(٥) المعجم المفهرس جزء ٢ ص ١٦٦
(٦ـ٦) فى الأصل « بشرك استعمله »

وأما أنوار القلب فإنها فى الأصل كاملة ، ومَثَلُها كَمَثَل الشمس التى [(١)] هى كاملة ، ولكن الهواء [(٢)] اذا كان فيه علة مثل الغيم والضباب وشدة الحرّ وشدة البرد حجبت هذه الأشياء نورَها ، فانتقصت ولاية شعاعها ، وقل سلطان حرها ، فإذا ارتفعت تلك العلل نفذت [(٣)] ولاية نورها [٣] و بلغت شعاعها واشتد سلطانها ، ولم تكن فى ذاتها ناقصة ولكن منافعها قد انقطعت للعلل التى وصفتُها. فكذلك نور الإيمان ونور المعرفة ونور التوحيد إذا أخذتها [(٤)] ظلمات الغفلة وغيوم [(٥)] النسيان وحجب العصيان وامتلاء [(٦)] الصدر من غبار الشهوات وضباب أضرار النفس [و] اليأس [(٧)] من روح الله ، انتقصت ولاية هذه الأنوار عن النفس و بقيت بذاتها [١٢و] تحت هذه الحجب ووراء هذه الأستار ، فإذا ارتفعت هذه العلل من الصدر بمنة الله وتوفيقه وصحت تو بة العبد إلى الله تعالى ، كُشف الغطاء وخُرقت الحجب [و] ظهرت منافعها على النفس وانتشرت ولايتها . فمن تفكر بتوفيق الله فى هذه النكتة [(٨)] واستمسك

---

(١) فى الأصل « الذى »
(٢) فى الأصل « الهوى »
(٣–٣) فى الأصل « نور ولايتها »
(٤) فى الأصل « أخذته »
(٥) فى الأصل « غيم »
(٦) فى الأصل « واعلا »
(٧) فى الأصل « تايس »
(٨) فى الأصل « النكة »

بالسنة ، أزال الله تعالى كثيراً من الشبهات من قلبه ، وقلع عن صدره عروق ريبه ، وهداه الله تعالى إلى مشاهدة حقائق غيبه . وهذا شيء واضح لمن يسّر الله عليه سبيل الفقه والفهم .

وأما مثل نور الاحكام وهو نور الإسلام فى الصدر فإنه يزداد بصحة المعاملة وصدق المجاهدة ، وينقص نوره بالإعراض عن إقامة شرائعه وترك استعماله . فمثله كمثل القمر ، فإنه يزيد وينقص .

الإسلام اسم جامع لأصل الدين وفروعه ، وقد أكمل الله هذا الدين بفروعه وأحكامه فى نيف وعشرين سنة ، إلّا أنه نسخ من أحكامه (١) بعضها فبدل بعضها . وأما الإيمان والمعرفة والتوحيد [ف]لا يجوز النسخ فيها ولا تبديل شيء منها . وكفى العاقل الموفق إذا تفكر فيها أن يعرف الفرق بين ما حملته (٢) النفس وبين ما حمله القلب . ولكن المؤمن هو من الله فى مزيد من البر فى كل لحظة وساعة ، فتعلو (٣) مراتبه من جهة مشاهدة لطائف الله تعالى ، ويكشف له من حجب الغيب من ساعة إلى ساعة ما لم يكن كشف له قبل ذلك . وكذلك العبد تضعف أحواله أحياناً ، وتشغل مراتب قلبه من جهة [١٢ظ] الغفلة

---

(١) فى الأصل « أحكام »
(٢) فى الأصل « حملتها »
(٣) فى الأصل « فيطوا »

والأصول على حالها . ومَثَلها [١] أيضاً كمثل السراج يكون فى شىء فيُرخَى عليه [٢] الستور ، فهو على حاله من الداخل ، لـكنْ ضياؤه ومنفعته حُجِبَت وولايتُه عن الانتشار انقطعت . ومَثَلها أيضاً كمثل المرآة تُلفّ فى ثوب ، فهى فى الأصل كما كانت إلّا أن منفعة الظاهر قد انقطعت . فافهم ، رحمك الله ، أن الـكتاب المنزل ، كما [٣] كان جبريل عليه السلام تولى إنزاله بعلم الله تعالى ، فمعدنه قلب النبى عليه الصلاة والسلام. قال الله تعالى : « قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ » [٤] ، وقال : « نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ » [٥] .

[الفصلُ الرابع]

واعلم أن الفؤاد ، وإن كان موضع الرؤية ، فإنما يرى الفؤاد ويعلم القلب. [و] إذا اجتمع العلم والرؤية صار الغيب عند صاحبه عياناً ، ويستيقن العبد بالعلم والمشاهدة وحقيقة رؤية الإيمان « فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ » [٦] والمنة لله عليه بالهداية والتوفيق بتصديقه ، « وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا » [٦] والحجة لله عليه بتكذيبه .

---

(١) أى مثل أنوار القلب .
(٢) فى الأصل « إليه »
(٣) فى الأصل « فـكما »
(٤) سورة ٢ آية ٩٧
(٥-٥) سورة ٢٦ آية ١٩٣ - ١٩٤
(٦) سورة ٦ آية ١٠٤ .

وقال الله تعالى في علم اليقين وعين اليقين [١] : « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ » [٢]. وأخبر الله نبيه موسى عليه السلام أن قومه اتخذوا العجل فاشتدّ غضبه ، ورجع إلى قومه غضبان أسفاً [٣] لمَا أيقن بإخبار الله تعالى عنهم ، وحمل الألواح ، فلما عاينهم يعبدون العجل ألقى الألواح ، وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه. فكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٣و] « رحم الله أخي موسى ليس الخبر كالمعاينة » . إن موسى أخبره ربه قال : « قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ » [٤] ، فلما عاينهم ازداد غضباً وحدة .

فالقلب أيضاً (٥ تضاف إليه الرؤية ٥) ، ولكن إنما يرى بالنور الذي فيه ، يدل على ذلك ما أجاب أبو جعفر محمد بن علي [٦] رضى الله عنه للأعرابي حين سأله فقال « رأيت ربك ؟ » فقال « ما كنت أعبد شيئاً لم أره » فقال « كيف رأيته ؟ » قال « إنه لم تره الأبصار بمشاهدة

---

(١) في الأصل « اليقين فقال »
(٢) سورة ١٠٢ آية ٥ ــ ٧ .
(٣) انظر سورة ٢٠ آية ٧٦
(٤) سورة ٢٠ آية ٨٥ .
(٥ ــ ٥) في الأصل « يضاف إلى الرؤية »
(٦) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . انظر صفة الصفوة جزء ٢ ص ٦٠

العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان »[١]، فأشار إلى الرؤية بالقلب ولكن بحقيقة نور الإيمان. والقلب والفؤاد يُعبّر عنهما بلفظة [البصر] لأنهما موضعان للبصر، قال الله تعالى : « يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ »[٢]، وقال : « فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ »[٣]. فأهل الأبصار لهم الاعتبار[٤] بأن يروا[٤] فى الأشياء لطائف صنع الله تعالى، وإنما هم أهل القلوب. وأهل المشاهدة بنور الإيمان على مراتب، فمنهم من يُكشف له عن عظائم الغفلة بمجاهدته الصحيحة ورؤية الآخرة[٥] بعيان عينى[٥] قلبه كأنه ينظر إليها، كما قال حارثة « أصبحت مؤمناً حقًّا » قال [رسول الله صلى الله عليه وسلم] « إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » الحديث[٦]. فهذا كشف الله له، بعزف نفسه عن الدنيا، الآخرة، وعاينها

---

(١) انظر كتاب « اللمع فى التصوف » لأبى نصر عبد الله بن على السراج الطوسى، ليدن ١٩١٤، ص ٣٥٠.

(٢) سورة ٢٤ آية ٤٤

(٣) سورة ٥٩ آية ٢

(٤ — ٤) فى الأصل « إن يرون »

(٥ — ٥) فى الأصل « عيان بينى »

(٦) وتكملة هذا الحديث كما ورد فى « كتاب اللمع » للسراج ص ١٣ « فقال [حارثة] عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى واظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا وكأنى أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون وإلى أهل النار فى النار كيف يتعاوون فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم » قارن « كتاب الأربعين » للسلمى ص ٥ — ٦ و « كتاب الرياضة » للترمذى ص ٦٩.

بنور قلبه ، وإنه لم ينطق عن[1] مقام مشاهدة الله ومشاهدة صفاته ومنّته وبره وعظمته وما أشبهها ، إنما ينطق عن مجاهدته التي أورثته مشاهدة العرش والجنة [١٣ظ] وأهلها والنار وأهلها. فبان لك أن الرؤية والمشاهدة من جهة العبد يزداد سلطانها وأنوارها من الله تعالى .

وفرق آخر بين القلب والصدر أن نور الصدر له نهاية ونور القلب لانهاية له ولا غاية ولا انقطاع وإن مات العبد ، وإنما العبد إذا مات على الإيمان كان نوره معه لا يفارقه فى القبر ولا فى القيامة ويبقى معه دائماً . قال الله تعالى : « يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ »[2] . وأما أحكام شرائع الإسلام وما كان بناؤه على سبيل التكليف فإنها تنتهى غايتها بالموت ، وكفى[3] به دليلا لمن يقول بكمال الإيمان وأنه لا يزيد ولا ينقص . وهو حجة على من يقول بزيادته[4] ونقصانه[5] ويشبهه [بـ] سائر الأعمال ، ويقول بأن الأعمال كلها إيمان ، ويقول إن الإيمان باللسان ، أو يقول فى الحقيقة إنه فعل العبد ، أو يفرق بين حقيقة معنى الإيمان ومعنى الإسلام[6] .

---

(١) فى الأصل « من »
(٢) سورة ١٤ آية ٢٧
(٣) فى الأصل « أكفى »
(٤) فى الأصل « بزيادة »
(٥) فى الأصل « ونقصان »
(٦) فى الأصل « القرآن »

وليس بمصيب منا من يشتغل بما لم يُكلَّف ، والسكوت للجاهل سلامة والنطق للعالم من الله إكرام . ألا ترى أن سؤال العبد فى القبر إنما يكون عن [(١)] الأصول ولا يكون عن [(٢)] الفروع ، يقال له : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ولا يقال : ما عملك ؟ ولا : كيف صليت ؟ ويُسأل يوم القيامة عن الإيمان أولا ثم عن الأعمال على الولاء ، فيثاب بالأعمال على قدر قوة الأصول وهى النيات .

إنما يُسمَّى القلب قلباً لسرعة تقلبه [(٣)] . قال [(٤)] عليه الصلاة والسلام « إنما مَثَل القلب كَمَثَل ريشة فى الفلاة من الأرض » الحديث [(٥)] . [١٤و] فأخبر عليه الصلاة والسلام طرفاً من قدرة الله وشيئاً من لطفه لعبده الضعيف بتثبيت قلبه على الإيمان وإرسائه [(٦)] على الحق بسرعة تقلبه كيلا يرتفع عن الهدى بحول الله وقوته . فالعاقل من لا يضيف فعل القلب إلى نفسه إلّا على

---

(١) فى الأصل « من »
(٢) فى الأصل « من »
(٣) انظر « كنز العمال » جزء ١ رقم ١٢١١ ، ١٧٠٢ـ ١٧٠٣
(٤) فى الأصل « وقال »
(٥) ورد هذا الحديث فى مسند أحمد بن حنبل جزء ٤ ص ٤٠٨ كما يلى « إنما سمى القلب من تقلبه ، إنما مثل القلب كمثل الريشة معلقة فى اصل شجرة يقلبها الريح ظهر البطن » قارن « كنز العمال » جزء ١ رقم ١٢١١
(٦) فى الأصل « لإرساله »

مقدار مايليق بالعبودية ، ويسكت عما لا يعنيه ، فإن له من وراء ذلك اشتغالا [١] عن الفضول بما لا يعنيه . ومن انهدم بناء توحيده وأساس إيمانه وأرض معرفته ، فمن غيره يبنيه ؟

وقد وصفتُ أن الإسلام جمع العلم والعمل ؛ والدليل عليه ما أجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل « ما الإسلام ؟ » الحديث [٢] . فاتفقا على أن الإسلام علم وعمل . وأجاب سؤاله عن الإيمان فاتفقا فى ذلك جميعاً أنه علم ومستقره القلوب . وأما خاصّة أهل الإيمان فإنهم يستفيدون من أحاديث رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم فوائد لطيفة لا تهتدى العامة إليها ، لأنهم محجوبون بنفوسهم عن لطائف الحق برؤيتهم أعمالهم .وقد أمر الله أن يخاطَب الناس على قدر عقولهم ، وقال : « وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً » [٣] .

---

(١) فى الأصل « اشتغال »

(٢) ورد هذا الحديث فى « مسئلة فى الإيمان والإسلام والإحسان » للترمذى ، مخطوطة ليبزج رقم ٢١٢ ورقة ٩٢ ظ — ٩٣ وكما يلى « فقال : يامحمد ما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه والجنة والنار والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله . قال : إذا فعلت ذلك فأنا مؤمن ؟ قال : فاذا فعلت ذلك فأنك مؤمن . قال : صدقت . فتعجبنا من قوله وتصديقه ثم قال : يامحمد ما الإسلام ؟ قال : أن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وتغتسل من الجنابة فاذا فعلت ذلك فأنت مسلم . قال : صدقت . فتعجبنا من قوله صدقت ثم قال : يامحمد ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فان لاتراه فإنه يراك . قال : فاذا فعلت ذلك فأنا محسن ؟ قال : نعم . قال : صدقت . فتعجبنا من قوله صدقت » . انظر أيضا « المعجم المفهرس » جزء ١ ص ٤٦٧ .

(٣) سورة ٤ آية ٦٣ .

وأما جوابه عن الإحسان فإنه قُيِّد بمشاهدة الله عز وجل فقط ، فإما أن يشاهد العبدُ بقلبه ربَّه جل جلاله ، وإما أن يشاهد بقلبه أنه يراه جل جلاله ، وفى هذا الخبر فوائد كثيرة دون ما عقلته العامة ، إلّا أن هذا ليس موضع بيانها .

فبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن] مقامات المؤمنين على قدر مراتبهم إذ قيد الإحسان [١٤ظ] بالرؤية . ومعدن الرؤية هو الفؤاد ، قال الله عز وجل : « مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى » (١) . والفؤاد مشتقّ من الفائدة لأنه يرى من الله عز وجل فوائد حبه ، فيستفيد الفؤاد (٢) بالرؤية ويتلذذ القلب بالعلم ، وإنه مالم ير (٣) الفؤاد لم ينتفع القلب بالعلم . ألا ترى أن الأعمى لا ينفعه علمه شيئا فى وقت الشهادة إذا احتاج إلى أدائها لأنه محجوب عن الرؤية ، فعلمه فى الحقيقة علم لكنه لم يتأكد سلطانه بجرح القاضى شهادته بالعمى وإن كان عدلا . وفيه إشارة لمن فقّهه الله فى الدين ، قال الله تعالى : « وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » (٤) ، فكيف يشهد من علم شيئا ولم يره . وقد ذكر الله فى قصة يوسف وإخوته عليهم السلام أنهم (٥) قالوا : « مَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

---

(١) سورة ٥٣ آية ١١
(٢) فى الأصل « الفوائد »
(٣) فى الأصل « يرى »
(٤) سورة ٢٢ آية ٧٨
(٥) فى الأصل « إذ »

حَافِظِينَ »[١] ولم يكونوا رأوا الصواع[٢] فى رحل أخيهم ، [و] أنه [من] وَضْع صاحب يوسف بأمره ولم يكن سَرِقة . وإن الله جل وعلا أكرمنا بالقرآن وهو بحره الأعظم ، ملأه من جوهر اللطائف ، وجعله من خزائن الظرائف ، فطوبى لمن أكرمه الله ببعض ما فيه من الحكمة والبيان فى السر والإعلان . وقال بعض العارفين : إنما سُمّى الفؤاد فؤادا لأن فيه ألف واد . فإذا كان فؤادا لعارف فأوديته جارية من الأنوار من إحسان الله تعالى وبره ولطفه.

واسم الفؤاد أدقّ معنى من اسم القلب ، ومعناهما قريب كقرب معنى الاسمين الرحمن الرحيم . فحافظ القلب هو الرحمن ، [٣] لأن القلب معدن [٣] الإيمان ، والمؤمن توكل بصحة إيمانه على الرحمن ، قال الله تعالى: « قُلْ هُوَ [١٥و] الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا »[٤] . وحافظ الفؤاد هو الرحيم ، قال الله تعالى : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ »[٥] ، وقال : « كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ »[٦] .

---

(١) سورة ١٢ آية ٨١

(٢) فى الأصل « الصاع »

(٣–٣) فى الأصل « لأنه معدن القلب »

(٤) سورة ٦٧ آية ٢٩

(٥) سورة ٧ آية ١٥٦

(٦) سورة ٢٥ آية ٣٢

ووصف الله تبارك وتعالى ربطه قلب العبد، فقال في قصة أصحاب الكهف: « وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا »[١]، وقال في قصة أم موسى: « لَوْلَا أَن رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا »[٢]. وقال أهل التفسير: ربط القلب بنور التوحيد[٣]، وذلك أن القلب يعلم والعالم يحتاج إلى ربط التأييد حتى يطمئن بذكر الله[٤] عز وجل. وأما الفؤاد فانه يرى ويعاين فيقع له الفراغة ولا يحتاج إلى الربط بل يحتاج إلى معونة المدد بالهداية. قال الله تعالى: « وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ »[٥]، فوصف الفؤاد بالفراغة وفضّله على القلب إذ كان القلب يحتاج إلى الربط والفؤاد يرى ويعاين والقلب يعلم، و « ليس الخبر كالمعاينة »[٦].

[الفصل الخامس]

واللب هو الجبل الأعظم والمقام الأسلم، وهو كالقطب لا يزول ولا يتحرك، وبه قوام الدين، والأنوار كلها راجعة إليه حافّة حوله، ولا تتم هذه الأنوار ولا ينفذ سلطانها إلاّ بصلاح اللب وقوامه، ولا يثبت هذه الأنوار إلا بثبوته، ولا

---

(١) سورة ١٨ آية ١٤
(٢) سورة ٢٨ آية ١٠
(٣) قارن تفسير الطبرى جزء ١٥ ص ١٣٧
(٤) انظر سورة ١٣ آية ٢٨
(٥) سورة ٢٨ آية ١٠
(٦) « المعجم المفهرس » جزء ٢ ص ٥

توجد إلا بوجوده . وهو معدن نور التوحيد ونور مشاهدة التفريد ، وبه يصحّ من العبد حقيقة التجريد وضياء التمجيد . وإن هذا اللب نور مقرون[١] وزرع مغروس وعقل مطبوع ، ليس كالمركّبات [١٥ ظ] فى النفس التى هى داخلة، إنما هو نور مبسوط كالأشياء الأصلية . وهذا اللب الذى هو العقل مغروس فى أرض التوحيـد ، ترابها نور التفريد ، سُقِى[٢] من ماء اللطف من بحر التمجيد حتى امتلأ عروقه من أنوار [٣] اليقين ، وتولى[٣] الله غرسه وباشر ذلك بقدرته من غير واسطة . فغرسه فى جنة الرضى ، ثم عصم هذه [٤] البحور بسور الصون[٤] وأرساه[٥] فى أزليته وأبديته وأوليته حتى لا تـكاد [تقترب منه] بهيمة النفس بشهواتها أو بجهلها أو سباع مفاوز الضلالة أو شىء من الدوابّ التى هى طبائع النفس مثل كبرها وحمقها وآفاتها. والرب جل جلاله صاحب هذا البستان ووليه الذى هو أزْيَن من جميع الجنان ، لأنه بستان الإيمان تولى الله غرسه وسقيه وتربيته حتى أثمر[٦] الشجر نور الإيمان بتوفيق الرحمن

---

(١) هكذا فى الأصل
(٢) فى الأصل « يسق »
(٣ ـ ٣) فى الأصل « اليقين حتى تولى »
(٤ـ٤) فى الأصل « البحور بصور القصور »
(٥) فى الأصل « راوسه »
(٦) فى الأصل « أثمرت »

ولطائف ثمرات الإحسان . قال الله تعالى : « وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ »[١] .

فهذا تفسير اسم اللب : فإنه لام و باء ، فابتدأ بلام[٢] مثل لام اللطف والباء مشددة[٣] واحدة فى الكتابة لكنها من[٤] الحروف المضاعفة[٤]، فهى فى الحقيقة اثنان : باء البر فى البداية و باء البقاء بالبركة عليه. وهذا النور لا يوجد لسبب من الأسباب إلّا بفضل مفتّح الأبواب . فأصل مارزق الله تعالى العبد من أصول الدين هو فضل الله بلا علة ، ثم جعل فروعه بعلة العبودية . ومجاهدة العبد مقرونة بمعونة الربوبية وهداية الألوهية ، [و]لا يُوَفَّق[٥] [١٦و] مجاهدة العبد إلا بتوفيق من الله تعالى فى الوقت ، وحسن النظر قبل الوقت ، بلطف التدبير وحسن التقدير ، حتى يكون أول شىء فضله فى الأزل[٦] ، فيتيسر على العبد أعمال الخير .

واعلم أن اللب لا يكون إلّا لأهل الإيمان ، الذين هم من خاصة عباد الرحمن ، الذين أقبلوا إلى طاعة المولى ، وأعرضوا عن النفس والدنيا ، فألبسهم

---

(١) سورة ٤٩ آية ٧
(٢) فى الأصل « للام »
(٣) فى الأصل « مشدودة »
(٤—٤) فى الأصل « حرف المضاعف »
(٥) فى الأصل « يوافق »
(٦) فى الأصل « الأول »

لباس التقوى ، وصرف عنهم أنواع البلاء ، فسمّاهم الله أولى الألباب ، وخصّهم بالخطاب ، وعاتبهم بأنواع العتاب ، ومدحهم فى كثير من الكتاب . فقال الله تعالى : « فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ » [١] ، وقال : « وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ » [٢] ، وقال : « أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ » [٣] ، وقال : « وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » [٤] ، وقال : « وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » [٥] ،وقال : « لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ » [٦] . فمدح الله تعالى أولى [٧] الألباب و بيّن مراتبهم وسرائرهم مع ربهم وفضائلهم فى فقههم وفهمهم وحلمهم حتى أعجز أمثالنا عن إدراك أحوالهم لأنه خصّهم بنور اللب مالم يفعل ذلك بغيرهم .

وأما عند عامة [٨] أهل الأدب ومن لهم معرفة بشىء من اللغة [فـ] إن اللب هو العقل . [ولكن بينهما فرق] كما بين نور الشمس ونور السراج

(١) سورة ٥ آية ١٠٠
(٢) سورة ٢ آية ١٩٧
(٣) سورة ٦ آية ٩٠
(٤) سورة ٢ آية ٢٦٩
(٥) سورة ١٤ آية ٥٢
(٦) سورة ٣٨ آية ٢٩
(٧) فى الأصل « أولو »
(٨) فى الأصل « عام »

فـكلاهما نور [١] . وهذا شيء ظاهر ، لأنك لا تـكاد ترى عاقلين يستوى سلطان [١٦ظ] عقلهما ونورهما ، بل يتفاضل أحدهما على الآخر بزيادة خُصّ هـذا العقلُ بهـا ما لم يبن [٢] ذلك فى الآخر . فما ظنك بمن خصّه الله تعالى بمعرفته وأكرمه بلطائف برّه وأفاض عليـه من بحار خيره ما لم يفض [٣] منها على غيره .

والعقل فى الاسم واحد ، وسلطانه ناقص وزائد وهو متبوع متفرع ، يقوى بقوة أركانه ويزداد [٤] بزيادة سلطانه . وأول مقام العقل هو عقل الفطرة ، وهو الذى يخرج به الصبى والرجل من صفة الجنون ، فيعقل ما يقال له لأنه يُنهى ويؤمر ، ويميز بعقله بين الخير والشر ، ويعرف به الـكرامة من الهوان ، والربح من الخسران ، والأباعد من الجيران ، والقرابة من الأجانب . ومنه عقل [ال] حجة وهو الذى [به] يستحق العبد من الله تعالى الخطاب ، فإذا بلغ الحلم يتأكد نور العقل الذى [٥] وُصف بنور التأييد [٥] ، فيؤيد عقله ، فيصل لخطاب الله تعالى. ومنه عقل التجربة ، وهو أنفع الثلاثة وأفضلها ، لأنه يصير حكيما بالتجارب ، يعرف ما لم يكن بدليل ما قد كان. وهو ما قال رسول

---

(١) فى الأصل « سراج »
(٢) فى الأصل « يبين »
(٣) فى الأصل « يفيض »
(٤) فى الأصل « تزداد »
(٥ ــ ٥) فى الأصل « وصف به نور التأييد »

الله صلى الله عليه وسلم « لاحكيم إلا ذو تجربة ولا حليم إلا ذو عثرة »[١] . ومنه عقل موروث ، وصفته أن يكون الرجل كبيراً عاقلاً حكيماً عليماً حليماً وقوراً ، قد ابتلى بولد سفيه أو تلميذ سفيه لا ينتفع من صحبته ، فيموت هذا العاقل فيُورث اللهُ تبارك وتعالى ببركته[٢] عقلَه ونوره وضياءه ونفعه ووقاره وسكينته [١٧و] وسمته لهذا السفيه ، فيتغير[٣] حاله فى الوقت ، فيصير وقوراً عاقلاً على سبيل سلفه وهذا إنما يعاين[ه] الإنسان بوفاة الكبير العاقل ، وتَغيُّر الحال فى السفيه الجاهل . وليس يورث غير عقله ، ولكن يدركه بركة دعائه ونور علمه ، ويتفضل الله تبارك وتعالى بإتمام ذلك بمنه وكرمه .

وهذه[٤] الوجوه منافعها على المقدار ، ويصلح الإنسان بهذه الوجوه من العقل لصحبة الناس وينتفعون به . [و]لعل هذه الوجوه تُجمَع فيمن لا يؤمن بالله واليوم الآخر مثل الفلاسفة وحكماء الهند والروم وغيرهم ، لأن هذه الأنواع من العقل إنما هى لتأييد[٥] النفوس ومعاملة أهل الدنيا على سبيل المراءاة . وأما النافع منها تمام النفع [ف]هو العقل الموزون المطبوع بنور هداية الله تعالى .

---

(١) « المعجم المفهرس » جزء ١ ص ٥٠٤

(٢) فى الأصل « بركة »

(٣) فى الأصل « فتغير »

(٤) فى الأصل « هذا »

(٥) فى الأصل « لسانية »

وهو اللب الذى وصفته حديثا [(١)] ، ويُسمَّى عقلا . والعقل يعبَّر به عن العلم [(٢)] على وجه المجاز فى سعة اللغة ، ولـكنْ أولو الألباب هم العلماء بالله ، وليس كل عاقل عالما بالله ، و[أما] كل عالم بالله فهو عاقل ، قال الله تعالى: « وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ » [(٣)]. والعقل له أسماء أخر ، يُسمّى حلما ، ونُهى ، وحِجْرا ، وحِجى. قال الله تعالى : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ » [(٤)]، وقال: « هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ » [(٥)]. [و] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لِيَلِنى منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم » [(٦)] . وقد قيل إن العقل يعقل النفس عن متابعة الهوى كما يمنع [(٧)] العقال الدابة من مرتعها [(٧)] ومرعاها . والعقل اسم [غير] متبدل ، [١٧ ظ] وهو اسم عام ، ولا يستعمل تصريف هذه الأسماء إلا منه ، يقال عقل [(٨)] يعقل عقلا فهو عاقل وذلك معقول عنه .

---

(١) فى الأصل « جديا »
(٢) فى الأصل « العقل »
(٣) سورة ٢٩ آية ٤٣
(٤) سورة ٢٠ آية ٥٤ ، ١٢٨
(٥) سورة ٨٩ آية ٥
(٦) «المعجم المفهرس» جزء ١ س ٥٠٤
(٧ ـ ٧) فى الأصل « العقال من الدابة مرتعها »
(٨) فى الأصل « اعقل »

وقال الله تعالى: «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»[١]. وهو أن يعقل[٢] عن الله أمره ونهيه ومواعظه ووعده ووعيده ويفهم مراده فى الأشياء على قدر مايوفّقه ويكشف له من تعظيم أمره و إجتناب مناهيه. وهذه كلها لا توجد إلا بلطف الله وحسن نظره إليه، فيفضّله على غيره باللب الموصوف والنور المعروف. وهو فقيه فى أصول الدين وفروعه. وليس كل من يكون فقيهاً فى الفروع فقيهاً فى الأصول، لأن الفقه[٣] فى علم الأحكام كثير وهو فقيه بالتفقه وهو حامل الفقه والعلم. والفقه اسم للعلم يعبَّر بهذه اللفظة عنه، يقال فلان يتفقه و يتعلم. وأما الفقه فى الحقيقة فهو فقه القلب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ربّ حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٤]. وقال الحكيم[٥] «ليس بفقيه من لم يعدّ البلاء نعمة والرضاء مصيبة»[٦] وقال الحسن «إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بذنبه المواظب على طاعة ربّه». وقد بيّنتُ فى صدر الكتاب أن فقه[٧] المتعلم موضعه فى باطن الصدر، و يزداد نوره بالتعلم والاستعمال، و يتفرع له أنوار الفقه والفهم،

---

(١) سورة ١٦ آية ٧٠.
(٢) فى الأصل «اعقل»
(٣) فى الأصل «الفقيه»
(٤) «المعجم المفهرس» جزء ١ ص ٥١٦
(٥) لعله لقمان الحكيم
(٦) قارن «كنز العمال» جزء ١ رقم ٨٣١
(٧) فى الأصل «الفقيه»

[فـ]يستنبط بنور فقهه مسائل (١ ويقيس ما ١) لم يعلم بما يشبهها ويشاكلها ويقرب من معناها . وأما الفقه فى الدين فهو النور الذى يقذف الله تعالى [به] فى قلب عبده المؤمن ، مثل [١٨و] السراج ، يبصر به ، ولا يكون ذلك للكافر والمنافق . قال الله تعالى : « وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ »[٢] . وأما الفقيه الذى نوّر الله قلبه (٣ بنور البصر ٣) [فـ] الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه فى الدين وبصّره عيوب نفسه وبصّره بداء الدنيا ودوائها »[٤] . فمن جمع الله تعالى فيه كلا الفقهين ، فهو الكبريت الأحمر والعالم الأكبر واللبيب الأوفر .

فأما استنباط الفقيه فى الأحكام فهو استنباط المسائل على موافقة السنة وإقامة الشريعة ، وأما استنباط الفقيه فى باطن العلم فهو استنباط الخواطر على موافقة الحقيقة ومشاهدة الربوبية . وإنما (٥ تتبين زيادة ٥) الفضل بينهما فى استنباط معنى فى الباطن والظاهر [لآية] قد أنزلها الله تعالى ، يوجِبُ[٦] ظاهرُها حكما ، ويكون تحت ظاهرها ، من العبارة [التى] فى باطنها ، إشارةٌ

(١ ــ ١) فى الأصل « ويقيس على ما »

(٢) سورة ٦٣ آية ٧

(٣ــ٣) فى الأصل « بالنور الأصل »

(٤) « كنز العمال » جزء ٥ رقم ٤٠٧٢ ، ٤٠٩٨

(٥ ــ ٥) فى الأصل « تبين بزيادة »

(٦) فى الأصل « ظاهرها بوجوب » .

وعلم[١]. فيستنبط الفقيه ما يوافق حجة الله تعالى، و يستنبط الحكيم ما يوافق مراد الله تعالى و يهدى إلى محجّته[٢] بما تبين[٢] من لطائف الإشارات موافقاً للتوحيد ومخبرا عن مراد يوافقه الحميد.

[الفصل السادس]

والأنوار التى وصفتُها فى صدر الكتاب مثل نور الإسلام ونور الإيمان ونور المعرفة ونور التوحيد، و إن كانت أسماؤها مختلفة، فهى[٣] أشكال غير أضداد[٤]. و يتولد من كل نور منها فوائد على حدة ما لا يتولد من الآخر على قدر مراتبها. فنور الإسلام يتولد منه خوف ورجاء، ونور التوحيد يتولد منه خوف ورجاء، ونور [١٨ظ] الإيمان يتولد منه خوف [ورجاء]، ونور المعرفة يتولد منه خوف ورجاء، وكذلك سائر الأحوال التى تهيج من القلب وتتولد من أنوار الباطن مثل الشكر والصبر والمحبة والحياء والصدق والوفاء[٥] وغيرها، ولكن أشْرحُ بتوفيق الله تعالى هذا الفصل الواحد. فاعلم أنه يتولد من نور الإسلام خوف الخاتمة ورجاء حسن العاقبة، قال الله تعالى: « فَلاَ

---

(١) فى الأصل « علما »

(٢ـ٢) فى الأصل « لما بين »

(٣) فى الأصل « فهو »

(٤) فى الأصل « أضداده »

(٥) فى الأصل « الفا ».

تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » [١] ، وقال فى قصة يوسف عليه السلام : « تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ » [٢] . ويتولد من نور الإيمان خوف طوارق السوء ، وكذلك يتولد منه رجاء طوارق الخير فى كل وقت [٣] ، ونور المعرفة يتولد منه خوف السابقة ورجاء السابقة ، ونور التوحيد يتولد منه خوف الحقائق ورجاء الحقائق ، وهذا النوع يرجع خوفه إلى مشاهدة الربوبية ، وهو أن [٤] يخاف الله [٤] تعالى [و]لا يخاف سواه ، [ويرجوه] ولا يرجو سواه . وسائر الأحوال التى ذكرتُ شرحُها على هذا السبيل الذى وصفتُ لك .

ومَثَل هذه الأنوار كمَثَل الجبال ، فالإسلام [٥] جبل وأرضه [٦] الصدر ، والإيمان جبل وموضعه القلب ، والمعرفة جبل ومعدنه الفؤاد ، والتوحيد جبل ومستقره اللب . وعلى رأس كل جبل طائر ، فطائر جبل الصدر النفس الأمّارة [بالسوء] ، وطائر جبل القلب النفس المُلْهَمة ، وطائر جبل الفؤاد النفس اللوّامة ، وطائر جبل اللب النفس المطمئنة . فالنفس الأمّارة

---

(١) سورة ٢ آية ١٣٢

(٢) سورة ١٢ آية ١٠١

(٣) فى الأصل « وقته »

(٤–٤) فى الأصل « يخاف من الله »

(٥) فى الأصل « والإسلام »

(٦) فى الأصل « فأرضه »

يكون [١] طيرانها فى أودية الشرك والشك والنفاق وما يشبهها ، ولكن رحم الله أولياءه [١٩و] فحفظهم عن شرّها ، قال الله تعالى : « إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّى » [٢]. والنفس الملهمة يكون طيرانها فى أودية التقوى أحياناً وفى أودية الفجور أحياناً ، قال الله تعالى : « فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » [٣] . وطائر جبل المعرفة هى النفس اللوّامة ، ويكون طيرانها فى أودية الترفع [٤] والعز والنظر فى كرامات الله والافتخار والفرح بنعم الله أحياناً ، وفى [٥] أودية الافتقار والتواضع والازدراء بنفسها ورؤية الذل والمسكنة والفاقة أحياناً ، ومع ذلك تكون لوّامة لصاحبها فى أحوالها ، قال الله تعالى : « وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ » [٦] . وطائر جبل اللب النفس المطمئنة ، ويكون طيرانها فى أودية الرضاء والحياء والقرار على التوحيد ووجود حلاوة ذكر الله تعالى ، وهى شكل الروح ، طيّب[ها] الله عن خبث المنازعة ، قال الله تعالى :

---

(١) فى الأصل « تكون »
(٢) سورة ١٢ آية ٥٣
(٣) سورة ٩١ آية ٨
(٤) فى الأصل « الترافع »
(٥) فى الأصل « الى »
(٦) سورة ٧٥ آية ٢

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ » الآية [١] ، وقال : « فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ » [٢] .

ولفظة اسم النفس تشمل [٣] هذه المعانى كما ذكرنا [فى] معنى اسم القلب ، وهو مثل قول الله تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ » [٤] ، المعنى : أهل القرية ، وقال : « فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ » [٥] ، يريد بذلك أهل القرية. فكذلك القلب مضغة لحم والمراد ما فيها . وكذلك النفس ، والمراد ما فى داخل الجسد من النار والنور. والنفس اسم الجنس ، وجوهر بعضها أطْيَب من بعض ، و بعضها أخبث من بعض ، وأشدّ ظلماً وأكثر فجوراً ، وهى النفس الأمّارة . والنفس طابت بنور ظاهر الإسلام من خبث ظاهر النفس ، وهى تزداد [١٩ظ] طيبا بصدق المجاهدة إذا قاربها توفيق الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه « نعوذ بالله من شرور أنفسنا » ، فتعوّذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما خصّه الله تعالى بأنواع [من] الكرامات وطهارة فى النفس والنية . قال « كان لى شيطان إلّا أن الله تعالى أعاننى عليه فأسلم » [٦] .

---

(١) سورة ٨٩ آية ٢٧ ـ ٢٨

(٢) سورة ٥٦ آية ٨٩

(٣) فى الأصل « يشمل »

(٤) سورة ١٢ آية ٨٢

(٥) سورة ١٠ آية ٩٨

(٦) « المعجم المفهرس » جزء ٢ ص ٥١٤

والنفس جوهرها ريح حارة مثل الدخان ، ظلمانية سيئة المعاملة ، وروحها في الأصل نورانية ، وتزداد صلاحا بتوفيق الله تعالى مع حسن المعاملة وصحة التضرع ، ولا تزداد صلاحاً إلا بمخالفة العبد هواها والإعراض عنها وقهرها بالجوع والشدائد . والنفس اللوّامة هي أقرب إلى الحق ، لكنها مخادعة مداهنة ، لا يعرفها إلا العارفون من الأكياس. والنفس المطمئنة هي التي طهّرها الله من خبث الظلمات ، فصارت نورانية ، فشاكلت الروح ، تمشي (١) في طاعة الله منقادة من غير إباء (٢) منها (٣) فصارت مطيعة بطاعة الله ، وهي نفس الصدّيق الذي ملأ الله سرّه وعلانيته .

إنما (٤ شبهتُ هذه الأنوار بالجبال ٤) لأن نور الإسلام في صدر المسلم آكد وأحكم من أن يزيله أحد ، ما دام الله تعالى يحفظه ، حتى لا يتهيأ لأحد أن يزيل نور الإسلام (٥) من صدره . وربما لم يستقم (٦) المسلم على الطاعة ، وهو مع ذلك متمسك بالعروة الوثقى ، ولكنه لا ينجو من وسوسة النفس . وجبل

---

(١) في الأصل « وتمشى »
(٢) في الأصل « اباء »
(٣) في الأصل « منه »
(٤ ـ ٤) في الأصل « شبهتهما لأنوار الجبال »
(٥) في الأصل « الإيمان »
(٦) في الأصل « يستقيم » .

[نور] الإيمان أرسى [1] [و] أعظم وأرسخ وأثبت من نور الإسلام، لأن للنفس ولايةً وتكلفاً فى حفظ الإسلام واستعمال شرائعه ، وليس لها تكلف فى حفظ القلب. ومثبِّته [٢٠ و] نور الرب جل جلاله ، قال الله تعالى : « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ » [2] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدح هذه الأمة « الإيمان فى قلوبهم كالجبال الرواسى ». وهو موضع علم النفع [3] . ونور المعرفة أوسع وضياؤها أرفع لأنه معدن الرؤية ، [والرؤية] آكد من الخبر لأن « الخبر ليس كالمعاينة » [4] . ونور التوحيد هو أعظم الجبال ، ومثله فى الجبال كمثل جبل قاف عند سائر الجبال .

فجبل [نور] الإسلام ينتهى حدوده إلى [5] مجاهدة النفس وصالح أعمالها ، و [أهل الإسلام] هم فى درجات متفاضلون . وجبل نور الإيمان ينتهى حدوده إلى التوكل والتفويض . والمشاهدة أجلّ مالم ير [6] النفس ، والاعتبار بما قد رأى والنظر بنوره إلى ما غاب عن الأعين . وأهل الإيمان فى أصل الإيمان متساوون ، وفى مشاهداتهم وما يتولد فى أنواره [من] ثمرات الإيمان وفروعه

---

(١) فى الأصل « إرشاد »

(٢) سورة ١٤ آية ٢٧

(٣) فى الأصل « النفس »

(٤) « المعجم المفهرس » جزء ٢ ص ٥

(٥) فى الأصل « على »

(٦) فى الأصل « يرى »

متفاضلون . وجبل نور المعرفة ينتهى حدوده[1] إلى إحاطة العلم بالبقاء والفناء والعجز والقدرة ، وتنتهى[2] إلى مشاهدة بر الله تعالى ولطائفه . فبهذا النور يُعرَف الفانى والزائل وحقارته ودناءته ، ويُعرَف الباقى وقدرته ورفعته ، ويُعرَف عجز الخلائق وضعفهم . والعارف فى هـذا المثل كأنه جبـل الله ، استقرت معرفته برؤية عظمته وكبريائه وقدرته ، ويمسكه[3] ربه ، فلا يزول بإصابة حادثة ولا ينتقل بإصابة محنة ، لأن الله تعالى يمسكه بقدرته وبرحمته .

ومعنى العين من «عرف» كأنه عَلِمَ وعرف عزة الله وعظمته وعلوه [٢٠ظ] وعلمه ، فذلّت نفسه عند رؤية عزته ، وتصاغرت[4] عند رؤية عظمته ، وتلاشت[5] عند رؤية علوه . ومعنى الراء[6] من « عرف » : رأى ربوبية الله تعالى ورأفته ورحمته ورزقه ، فوثق به ، وآمن به ، واعتمد على رأفته ، ورجا من رحمته ، ورضى بالله ربّا ومدبراً . ومعنى الفاء : فقه فى الدين لله تعـالى ، وفهم مراده ، وفارق كل فان ، و[فرّ] من كل فتنة إلى الفتاح العليم ، وفاق نور قلبه الباقى على كل شىء فان . ووجه آخر : معنى العين : عرى قلبه عن

(١) فى الأصل « نوره »

(٢) فى الأصل « ينتهى »

(٣) فى الأصل « يمسكها »

(٤) فى الأصل « تصاغر »

(٥) فى الأصل « تلاشا »

(٦) فى الأصل « الراى »

النظر إلى غير ربه ، فألبسه تعالى لباس التقوى حتى عاود القلب ملازمة باب مولاه . ومعنى الراء[1] : رأى قلبه كل شيء كما خلقه الله تعالى . ومعنى الفاء : فرأى الفانى كأنه قدفنى حتى انفرد للفرد الذى هو مولاه . ووجه آخر : معنى العين أنه عزت[2] نفسه بالإيمان ، و[الراء] : راحت روحه بارتياح ذكر الرحمن ، والفاء : فتح الله تعالى قلبه بالفقه فى علوم القرآن . ووجه آخر : عشقت[3] نفسه ، ورق قلبه ، وفاقت روحه . ووجه آخر : عبد أعانه ربه ، فرأى بعونه[4] ماغاب عن عينيه ، وكشف له عن معانى الأشياء ، ففارق النفس والخلق بقلبه ، فقام بربّه لابقوة نفسه ، مكشوف به سره ، مشغول بربّه ، قد آثره على مادونه ، فإنه عرف أنه أكبر وأجلّ وأعظم وأعز وأكرم وأعلى وأعلم وأغنى وألطف . فغرق نور فؤاده فى مشاهدة عظمته ، وهو فى بحر فوائد الله تعالى ، لاينتهى مددها ولايبلغ غورَه أحد . فهذا أقلّ علامة من علامات [العارف] ، لأن العارف لايدركه فى أحواله ريح عاصف ، ولايتصل [٢١و] به برق خاطف ، ولا يخبر عنه[5] وصف واصف . ويطوف حول سرّه من الله تعالى فى كل وقت من بِرّ الله تعالى ولطائفه ورحمته وكرامته وعظمته

(١) فى الأصل « الراى »
(٢) فى الأصل « عزه »
(٣) فى الأصل « عشقه »
(٤) فى الأصل « معونة »
(٥) فى الأصل « يخبره »

وفوائده ونعمه ، لا ينقطع عنـه أدنى طرفة عين من الله أنواع اللطائف . فهو عارف لله ، وعند الله نفسُه ، وغير عارف بمـا ينـكر من نفسه من أخلاقها السيئة ومن عيوبها ، وله من أقواله وأفعاله حكمة . وهذا كله إنما يتبين له من بحر فضله .

ويثبّته على هـذه المرتبة العظيمة جبل [(١)] نور التوحيد الذى هو الجبل الرابع . وهو على مستقر اللب ، وهو الجبل الذى لا غاية لعلوه ولا نهاية لعظمته ، وهو معدن جميع الخيرات والبحر الذى يخرج منه كل خير ويرجع إليه كل خير ، ولا يتهيأ لأحـد من الخلق وصف نوره [(٢)] بلسان العبارة [٢)] إلّا على مقدار ما يوفَّق وييسَّر .

واعلم ، أيّدك الله ، أن هـذا عبد أخذه نور التوحيد ، فأحاط به حتى أغرقه فى بحره . فصار نور التوحيد على وجه المثل كالشمس ، فهى [(٣)] أطول فى الصيف وأشدّ حرًّا ، طلعت [(٤)] عليـه حتى بلغت موضعها من الزوال ، وهو [(٥)] أعلى موضع فى أيام الصيف ترتفع الشمس إليه . وليس فى السماء غيم

(١) فى الأصل « وهو »
(٢ــ٢) فى الأصل « بلسانه للعبارة »
(٣) فى الأصل « فى »
(٤) فى الأصل « اطلعت »
(٥) فى الأصل « وهى »

ولا علة حاجزة لنورها ولا سبب مانع لحرها وضيائها من ظلمة [١] . وليس بينها و بين هذا العبد شيء، حتى أحاطت [٢] برأسه ، فأحرقته الشمس بحرّها ، وغيّرت حاله مألوفا وطبعا ، ولا يرى لشخصه ظلا من ارتفاعها وعلوّ مكانها إلا عند قدميه ، ولا تستقر قدماه على الأرض من شدة الحر إلا على الضرورة . فكيف يكون هذا الموحِّد الذى أقامه [٢١ ظ] الله تعالى مقام التوحيد بحوله وقوته ؟ [٣] وهو مقام [من] يحسّ به أسد فيقتله و يأ كله وقد استيقن بهلاكه ليس له معتمد ولا كافّ ولا مستغاث ، فما أقرب حال صاحب هـذا المثل من حال الموحِّد ، فهذا إنسان حيّ عند الناس وهو عنـد نفسه ميت بقر به من ر به لأنه [٣] بقى فى ظلمات حـد الإدراك لا يدرك [٤] كيفية التوحيـد [٥] . . . . [٥] نور التوحيد وأحاطت به سراً وعلانية ، وقد ضل هـذا العبد طريق التكيف ، فليس له تـكلف فى الأمور ، وقد قام [ب]ترك الاختيار ، وصارت عبوديته أسيرة فى قبضة عزة الرب جل جلاله ، وهو يخاف من الشرك

---

(١) فى الأصل « مظلمة »

(٢) فى الأصل « احاطته »

(٣ـ٣) فى الأصل « وهوالمقام يحس بهأسد فيقتله ويأ كلهفهذا انسان حى عندالناس وهو عند نفسه ميت بقربه من ربه وقد استيقن بهلاكه ليس له معتمد ولا كف ولامستغاث فما أقرب حال صاحب هذا المثل من حال الموحد لأنه »

(٤) فى الأصل « يدركه »

(٥ـ٥) بياض فى الأصل

الخفى فى سرّه فى لحظة ، وهو ينظر [بـ]قلبه من ربه إلى خلقه كيلا يلتفت إلى غيره من خلقه أو إلى نفسه أو إلى حركته أو إلى حد التعطيل [١] ، حتى يرى عجزه عن إدراك ربوبيته ، أو إلى حد التشبيه حتى يرى نفسه غريقاً [٢] فى بحر التوحيد . وهو بحر عظيم عميق لا يُرَى شطُّه [٣] ، ولا منتهى لغوره ؛ وهو ريان عطشان ، جوعان [٤] [شبعان] ، عريان مكتس ، بصير أعمى ، عالم جاهل ، عاقل أحمق ، وحليم أخرق ، وغنى فقير ، وقادر عاجز ، وصحيح مريض ، وحى ميت ، وباق فان ، وبعيد متدان ، وقوى متوان ، ومشته [٥] بلا أمان [٦] . فهذه صفة العالم الربّانى والعارف الروحانى [و] السابق النورانى ، ليس كالجاهل الظلمانى ، ولا علمه نفسانى . ولو زدتُ فوق هذا الشرح فى [٧] حال الموحِّد أخافُ أن يكون فتنةً على من عافاه الله من هذا البلاء ، وغرق فى ظلمات المعاصى والشهوات وحبّ الدنيا عن مشاهدة لطائف المولى ، فإن هذه الأشياء معافاة [٢٢و] عن الشرك والشك ، وحبط دون المولى .

---

(١) فى الأصل « التمليل »

(٢) فى الأصل « غرق »

(٣) فى الأصل « رشطه »

(٤) فى الأصل « جيعان »

(٥) فى الأصل « مشتهى »

(٦) فى الأصل « أمانى »

(٧) فى الأصل « هذا »

وهو فى أشدّ البلاء ، كما وصفتُ لك [١] شيئاً منه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشدّ الناس فى الدنيا بلاءً الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل » [٢] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولحثيتم التراب على رؤوسكم » [٣] . وأخبر عليه السلام « من يشاهد الله تعالى وكبرياءه فى أشدّ البلاء » . وقال عليه السلام « إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية » . فتفكّر ، رحمك الله ، فى حال من وقع [عليه] هذا البلاء ، ونزع عنه لباس العافية ، فكيف يكون عيشه . أما بلغك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فى كل حال وفى كل وقت ؟ إذا شرع فى صلاته سمع له أزيز كأزيز [٤] المرجل ، وكان يتغير لون وجهه إذا هاجت ريح وظهرت حادثة . ولكن الغفلة فينا حجبتنا عن مشاهدة ما شاهد أهل المعرفة ، وملأت خواطر قلوبنا عن مثل هذه الحالات . وقد ذمّ الله تعالى أقواما فقال : « يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » [٥] . وهذا العبد الذى غرق فى نور التوحيد واشتدّ بلاؤه ، فهو فى عيش رغد ، طابت حياته

---

(١) فى الأصل « وصفتك »
(٢) « المعجم المفهرس » جزء ١ ص ٢٢٠
(٣) « المعجم المفهرس » جزء ١ ص ٢١١
(٤) فى الأصل « انين كانين »
(٥) سورة ٣٠ آية ٧

مع ربه . قال الله تعالى : « فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً »[١] . فهذا العبد قد نسى الحلاوات كلها عند حلاوة ذكره وطاعته ومعرفته ومحبته. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا » إلى آخره[٢] . وقال عليه السلام « ثلاث من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، ورجل كره أن يعود [٢٢ظ] إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقَى فى النار ، ورجل أَحبَّ عبدا لم يحبّه إلا لله »[٣] . وليس هذا موضع شرحها. فهذا عبد سقاه الله من بحر الهدى شرابا ، ووجد حلاوته ، فهو كالمجنون عند الناس ، وقد زيّنه الله تعالى بأحسن اللباس ، وعصمه من شرّ الوسواس وفضّله على كثير من الناس ، ولا تُدرَكُ أحوالُ هذا الموحِّد بالنظر والقياس ، وخصّه الله تعالى بقوة من عنده فى جميع أحواله بما لا يُدرَكُ ذلك بالعقول والحواسّ . قال الله تعالى : « ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا »[٤] ، وقال : « ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَامَوْلَى لَهُمْ »[٥] ، وقال : « وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّالِحِينَ »[٦] .

---

(١) سورة ١٦ آية ٩٧

(٢) وتكملته « وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا » انظر « المعجم المفهرس » جزء ٢ ص ١٩٥

(٣) « المعجم المفهرس » جزء ١ ص ٢٩٦

(٤) سورة ٢ آية ٢٥٧

(٥) سورة ٤٧ آية ١١

(٦) سورة ٧ آية ١٩٦

فما ظنك ، رحمك الله ، بمن كان الله وليه وناصره ومعينه ومؤيده ، هل تدرك حقيقة أحواله بحاسّة العقل ؟ أما رأيت إنكار الضالّين كرامات الأولياء ومعراج النبي صلى الله عليه وسلم إذ[1] نظروا إليها من أهوائهم وسموها عقولا ، وزعموا أن عقولهم لاتقبل هذه الأشياء ، ولا يصح مثل هذا من طريق المعقول ، فكل ما[لا] تقبل عقولهم فذلك باطل . فيا أخى كيف تُدرِك بآلةٍ مخلوقة محدثة مركَّبة ربوبيةَ خالقٍ قدير رب عالم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ؟ ومتى يُدرِك شيء يزيد وينقص ويتقارب ويتفاضل ربوبيةَ ربٍ لا يزيد ولا ينقص ولا يتغير حاله ؟ بل العقل حجة من الله تعالى على العبد ، وهو آلة مركَّبة لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية. ومن عجز عن إدراك أشياء فى نفسه مخلوقة فيه ولم يدرك حقيقتها علما إلا بالظن والخيال مثل النوم وأحوال القلب وطبائع النفس والروح ،[و]لا يعرف حقيقة [٢٣ و] النفس أيش هى[2] ، ولا يعرف حقيقة العقل الذى يدّعى أنه يعرف به كل شىء ، فكيف يكون له سبيل الإدراك إلى ما هو أعلى منه ؟ بل الصواب التسليم للحكم والاستسلام للربّ والرجوع إلى الحق . وهذا الموحِّد الذى وصفه الله تعالى بقوله : « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ

---

(١) فى الأصل « إذا »

(٢) فى الأصل « هو »

وَهُوَ شَهِيدٌ »[١] ، فهذا صاحب القلب فى الحقيقة ، لأن حافظ قلبه ربه عز وجل ، [و] لأن [من] وكّله الله إلى حفظ قلبه زاغ قلبه ، ومن حفظ قلبه ربه فقد وقع من الشغل فى فراغة . والناس يعظمون هذا الإنسان ، لأنه[٢] رفيع المقدار . وقد وضع هو نفسه ، وأزراها ، وصارت[٣] نفسه لنور قلبه كالمرآة لعينه ، ينظر بنور قلبه إلى نفسه فيعرفها[٤] ، فيصل[٥] بمعرفتها [إلى] معرفة ربّه جل وعلا . قال الله تعالى : « وَفِى أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »[٦] ، وقال عليه السلام « من عرف نفسه عرف ربه » .

وهذا إنما يكون للمبتدىء فى أوائل أمره وسلوك طريقه ، وأما إذا اتصل بنور الحق ، وقوى بقوة الحق ، تلاشى عند سلطان عظمته قدرُ مَن دونه من خلقه ، وبطل عند ظهور حقه مقدار جميع خلقه . وقد وصف الله مثلًا من نور قلب[٧] المؤمن على سبيل المثال فقال تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا » إلى قوله : « بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ »[٨] . فمن تفكر بتوفيق الله تعالى بإدراك شىء

(١) سورة ٥٠ آية ٣٧
(٢) فى الأصل « انه »
(٣) فى الأصل « طابت »
(٤) فى الأصل « فيعرفه »
(٥) فى الأصل « فيصفوا »
(٦) سورة ٥١ آية ٢١
(٧) فى الأصل « القلب »
(٨) سورة ٢٤ آية ٣٥

من معنى بيان هذه الآية فإن من أول الـكتاب إلى آخره [ما] يدلّه على شرح معنى هذه الآية ، والله أعلم . وقال بعد هذا : « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ »[1] .

وأسماء مقامات السرّ مثل الصدر [٢٣ظ] والقلب هى عبارة باللسان ، و إنما حقيقتها إشارات إلى الأنوار ، وقد وضعها الله من خزائن نوره . ألا ترى ما قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم « فراسة المؤمن لاتخطىء » ، « والمؤمن ينظر بنور الله تعالى »[2] ، وقال « ليُفتِك قلبك » ، وقال « زاجر الله فى قلب كل مؤمن وواعظه[3] فى قلب كل مؤمن » .

واعلم يا أخى أن قوام الخلق كلهم بالله تعالى ، فما ظنك فيمن تولاه الله تعالى خصوصاً واكتنفه بكنفه وجعله من خاصّته وأهل ولايته . ومن لم يمت لايرى القيامة إلا أن يموت ، كما قال رسول الله صلى الله عليه « من مات فقد قامت قيامته » . ومن مات وخرجت روح نفسه وانتقل بروحه من الدنيا إلى الآخرة ، عاين الآخرة وما فيها . فـكذلك من مات بمعناه وحيي بمولاه علم أنه لايملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فقد كشف له غطاء غفلته ، وقامت قيامته ، وصار حيـاً بمولاه ، لأنه اكتنفه وتولاه وأيد قلبه

---

(١) سورة ٢٤ آية ٤٠

(٢) « كنز العمال » جزء ١٠ رقم ٨٢٥ .

(٣) فى الأصل « وعظ »

وأحياه ، فشاهد بنور الحق مالم يشاهد غيرُه ، وقال الله تعالى : « وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ »[١] ، وقال : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ »[٢] . [ومن] قتله الكافر فى سبيل الله جعله الله تعالى حياً بكرامته شهيداً ، فما ظنك فيمن قتله نور المحبة ونار خوف الهجران ونار مخالفة الهوى ونور موافقة الحق ونار الاشتياق، وقتل نفسه بسيف التوحيد ، فصار حيًّا لله عز وجل .

والحياة التى يفهمها العامة على وجود : منها حياة النفس [٢٤ و] بالروح ، وهى حياة الدواب والبهائم ، ومنها حياة القلب من ظلمة الكفر بنور الإيمان ، ومنها حياة النفس بالعلم ، فإنّ العالِم حىّ والجاهل ميت ، ومنها حياة العبد بنور الطاعة من ظلمة[٣] المعصية ، ومنها حياة التائب بنور التوبة من ظلمة الاضرار و بنور توفيق الله من ظلمة[٤] رؤية المجاهدة ، ومنها حياة العبد برؤية منّة الله تعالى عليه وحسن نظره إليه من ظلمة النظر إلى العمل، ثم منها مالا يحتمل ذكرَها[٥] قلوبُ العامة .

---

(١) سورة ٣ آية ١٦٩ .
(٢) سورة ٢ آية ١٥٤
(٣) فى الأصل « ظلم »
(٤) فى الأصل « ظلم » .
(٥) هكذا فى الأصل والهاء عائدة إلى « الحياة » .

قال الله تعالى : « قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى » الآية [١] ، [و] قال : « وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » [٢]، وقال : « يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ » [٣]، وقال : « وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا » [٤]. فكل حيّ ممن خلق الله تعالى إنما [٥] سمى حيا بالروح [٥] ، والروح عبارة عن النور الذى به أحيا [٦] الله الخلق ، وهو ، كما ذكر الله تعالى ، أن الروح من أمره ، وقوام الروح بالله ، والنفس قائمة بالروح . فمن فهّمه الله تعالى هذا المقدار فهم ما وراء ذلك ، بتأييد الله وتوحيد الله وتوفيقه ، من حياة القلب بروح الحكمة وروح الصدق وروح المحبة [وروح] الولاية وروح الشهادة وروح الرسالة وروح الكلام وروح الخلة . فحياة الصدر بروح الإسلام ، وحياة القلب بروح الإيمان ، وحياة الفؤاد بروح المعرفة والمشاهدة ، وحياة اللب بروح [٧] التوحيد والانفصال عن القوة والحول والاتصال بالحق .

---

(١) سورة ١٧ آية ٨٥ .
(٢) سورة ٥٨ آية ٢٢ .
(٣) سورة ٤٠ آية ١٥ .
(٤) سورة ٤٢ آية ٥٢ .
(٥ — ٥) فى الأصل « سميت حياة الروح » .
(٦) فى الأصل « احياه » .
(٧) فى الأصل « بنور » .

ومثل صاحب هذا الطريق فى ابتداء أمره كمثل رجل احتوته ظلمات الليل وأحاطت به فى بيت مظلم[١] ، فأُعطى[٢] سراجا ،[٣] فاستضاء بنور[٣] ذلك السراج ، ثم فُتِحَت كوة بيته [٢٤ظ] و بابه فوقع نور القمر ، فاستأنس به واستبشر[٤] حتى خرج إلى الصحراء فاستغنى بنور القمر وضيائه عن ضوء السراج ، فبينما هو فرح كذلك إذ أسفر الصبح ، فغلب نور النهار وسلطانه نور القمر ، فاستبشر[٥] ، فإذا هو قد طلعت الشمس وجعل نورها وضياؤها يزداد إلى أن يبلغ أعلى درجاتها . فمثل البيت المظلم هى النفس الجاهلة بظلماتها ، ونور السراج فيها نور العقل ، ثم يزيد هذا العقل ، كطلوع القمر ، بأنوار[٦] الشريعة وعلم السنة . ثم يزيد بنور صفوة المعرفة ، وهى كطلوع الصبح ، [ثم يزيد] برؤيته منن الله تعالى[٧] وما سبق له من الله من الحسنى[٧] فى الوقت ظاهراً و باطناً ولطائف صنعه وحكمه . ثم يزيد بنور التوحيد ، وهى طلوع الشمس . ثم يرتفع و يزداد ضوؤها ونورها وسلطانها ومنافعها برؤية حقائق آثار قدرته ولطائف ربوبيته . و إذا اكتملت أنواره واجتمعت خاف العبد

(١) فى الأصل « مظلمة »
(٢) فى الأصل « اعطى له »
(٣ ــ ٣) فى الأصل « فاستضاء به بنور »
(٤) فى الأصل « فاستنشر »
(٥) فى الأصل « فاستنشر » .
(٦) فى الأصل « فى انوار »
(٧ــ٧) فى الأصل « وماسبقت له من الله الحسنى » قارن سورة ٢١ آية ١٠١

من زوالها ، وخشى من انتقالها ، ولم يأمن تغيير حالها . فصاحب هـذا المقام يخاف من فراق هذا النور وزوال هذا السرور أشد ممـا يخاف هذا المستأنس بنور الشمس من زوالها وغروبها . وقد قال القائل :

طلعت نور شمسه فى القلوب وأضاءت فما لها من غروب
يتباهون بالحبيب فـكل آخذ من حبيبه بنصيب

ومَثَل[1] نظر العبد إلى أعماله وأفعاله وأحواله كمَثَل رجل أسرج سراجا كما وصفنا ، ثم اتصلت له هذه الأنوار التى وصفتُها ، فهل ينظر إلى السراج بعد ماظهرت له هذه الأنوار ؟ [لا] ، بل يشكر لمن وفقه للأعمال . وكذلك الموحِّد، رأى [٢٥ و] سره معاينةً بحقائق الإيمان ومشاهدةً بنور هداية الرحمن آثار عظمة الله وقدرته وجلاله وكبريائه وفردانيته ، فلم يلتفت إلى عمـله ، ولم يعتمد عليه ، واعتمد على الله ، وغرق فى أنوار مشاهدة منّته ولطائف رحمته وشواهد رأفته ، فتبرأ من النظر إلى حركات نفسه ، وأزرى بنفسه لمـا رأى من سوء أخلاقها وقبح مرادها .

ومثل آخر أن الـكواكب إنما يكون سلطانها فى ليلة ظلمـاء ، فإذا طلع القمر وكانت ليلة البدر[2] غلب نوره[3] نورَ الـكواكب ، وخفى[4] أكثر

(١) فى الأصل « ومنذ »
(٢) فى الأصل « ليلة القدر »
(٣) فى الأصل « نورها »
(٤) فى الأصل « يخفى »

النجوم ، فإذا أسفر الصبح وطلعت الشمس انطمست آثار الكواكب الباقية، وذهب نور القمر. فما ظنك فى عمل النفس عند ظهور الربوبية بالتوفيق والمعونة والهداية وهل يعتمد الموحِّد على عمل مادام يرى لطائف ربوبيته وسعة رحمته ، إذ العبد قائم بربه غير مستغن عنه ظاهراً وباطناً لدينه ودنياه طرفة عين ولا أدنى من ذلك . فلما كانت الهداية وأنوار الولاية ولطائف حسن الرعاية جملت وشملت وكثرت لم يبق النظر إلى حركات النفس وأعمالها على سبيل مايرى فى كل لحظة وطرفة من لطائف الرب جل وعلا .

وأبيِّن لك شيئا من صفة هذه القلوب التى يتولاها ربها . اعلم ، رحمك الله، أن قلوب أولياء الله تعالى خزائن الحكمة ، ومواضع الرحمة ، ومعادن المشاهدة ، وكنوز المعرفة ، وبيوت الكرامة ، ومواضع نظر الله جل جلاله إليها برحمته، ومزرعة رأفته ، وأوانى علمه ، وأخبية حكمته ، وأوعية توحيده ، ومواضع فوائده ، ومساكن عوائده ، [٢٥ظ] وأكنة أنوار من نوره . ينظر إليها برحمته فى كل لحظة ، فيزيد أنوارها ، ويصلح أسرارها ، وقد زيَّنها الله بنور الإيمان ، وأسَّسها بالتوكل على الرحمن ، وحشاها من لطائف الامتنان ، وبنى حيطانها من فوائد الإحسان ، وطيب أرضها بنور الحق والهدى حتى طابت تربتها من خبث الشرك والشك والنفاق وسائر الفواحش . فهذه الأرض أرض المعرفة سقاها الله من بحر الرضى حتى نبتت فيها من أنوار النفس،

وأيَّدها بحسن معالجة أصحاب البساتين ، وهم السادات من المتقين ، وأخرج أكامها [١] بريح متابعة سيد المرسلين ، وربَّاها بالرياح الربَّانية : ريح الرحمة وريح الرأفة وريح الظفر وما يشا كلها من رياح الربوبية ، وأنضج أثمارها بحر شمس المعرفة ، وزادها بمضى ليل الافتقار ونهار الافتخار ، وأحسن لون فواكهها بصبغة [٢] الله ، وهى بيان أحكام الشريعة واستمساك العبد بالعروة الوثقى ، وطيَّب طعمها بالتمسك بسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . ثم وضع سرير المحبة على أرض الحق المطيّب ترابها بنور اللبّ المؤيد بنور التوفيق المغذى بغذاء التصديق المؤسس بأساس التحقيق المسدّد بركنه الوثيق ، وبسط على هذا السرير [٣] الفرش الوثير [٣] من الحول والقوة ، وألقى عليها من نمارق التضرع والاستكانة ، وجعل متكأه الاستقامة ، واعتماده على الله أن يثبته على الحق ولزوم الجماعة ، ثم أجلس على هذا السرير عبدَه ووليه مسروراً مؤيداً [٢٦و] منصورا ، قد ألبسه لباس التقوى ، ونزع عنه ثياب التكلف والدعوى ، وخلع عليه كرامته من خزائن فضله ، وشدّ أزره بمنّته وتوفيقه ، وتوّجه بتاج ولايته ، وغسله بماء بره ورعايته ، وزاده طهارة من بحر هدايته ، وأطعمه من حلاوة ذكره ومحبته ، وسقاه شراباً طهوراً بكأس التوحيد من بحر التفريد ممزوجاً بحلاوة وصلته حتى

---

(١) فى الأصل « اغمامها »

(٢) فى الأصل « بضمة »

(٣ ـ ٣) فى الأصل « من فرش الوثير »

صار قائما بالله غائباً سره عمن سواه ، قد ذلت نفسه عند ظهور عزته ، وتلاشت عن التكلف عند رؤية نصرته . فقامت نفسه فى خدمته كالعبد المحجور أو كالمضطر المقهور أو كالأسير المأسور ، ثم نظر إليه ربه نظرة رحمته ، فنثر عليه من خزائن الربوبية نثار كرامات الخصوصية ، حتى قام مقام حقيقة العبودية ، فأغناه الله تعالى بذلك ، ثم قرَّبه وناداه وأكرمه وسمَّاه ولطف به ودعاه، فأتاه حين سمع دعاه، فأيَّده الله تعالى وقوّاه واكتنفه وآواه حتى أجابه ولبّاه وفى السر ناداه ، وفى كل وقت ناجاه ، وصرخ إلى مولاه لا[1] يعرف له ربا سواه ، فأعطاه سؤله ومناه ، واصطفاه لخدمته وهداه ، ولمحبّته ارتضاه ، ولمعرفته اجتباه ، وأجرى بين يديه[2] أنهاراً من الصدق والصفاء ، والتحقيق والحياء ، والمحبة والرضاء، والخوف والرجاء ، والصبر والوفاء ، والشكر والقضاء ، والبقاء واللقاء ، والافتخار والافتقار ، والتعظيم وترك الاختيار ، والنظر فى الأقدار ، ومشاهدة العزيز الجبار . يزيده الله كل وقت من اللطائف ما عجز[3] [٢٦ظ] الواصفون عن وصفه. وهو فى قرب من مولاه مستوحش من دنياه ، اشتغل بالله عن النظر فى عقباه ، فهو فى أرغد عيش مع مولاه ، يخاف زوال هذا الحال ، ويخشى حادثة

---

(١) فى الأصل « ولا »

(٢) فى الأصل « يده »

(٣) فى الأصل « اعجز »

توجب الانتقال عن مقام مشاهدة الكبرياء والجلال، وهو فى هذه الحالة كالأنيس المستوحش ، وكالمستقر المستوفز ، وكالمطمئن المضطرب ، قد غرق فى بحر لا يرى شطّه وهو بحر التوحيد، ولا يتمنى النجاة من هذا الغرق . يتلذذ [١] هذا الموحِّد كما يتلذذ المتلذذون من حلاوات الدنيا ، ويألم من ألم فراقه بما لا يألم أهل الأوجاع والأمراض والشدائد ، والمضروبون بالسياط والمجرّمون بالحديد ، فعافاه الله من ألم الفراق، [٢] وجمع له [٢] كل عافية ، وجعله من عنده وآمنه ، فسبحان من آلى على خاصة أوليائه والمقربين من أصفيائه بالآلاء العظيمة ، وأنعم عليهم بالنعماء الجسيمة ، وعصمهم من الأهواء السقيمة ، ومنّ عليهم بالقلوب السليمة ، وسلك بهم سبيل المحجّة المستقيمة ، فله الحمد على دفع البلاء وبذل العطاء وزيادة النعماء وكرامة الهدى ورفع الردى ، والتوفيق بالاقتداء بنبيه المصطفى وملة خليله المجتبى [و] سنة رسول الله المرتضى خاتم الأنبياء والرسل إلى أوضح السبل ، ختم الله به النبوة ، وبدر [٣] بمتابعته إلى إقامة المروة وإحياء الفتوة ،

---

(١) فى الأصل « يلذذ »

(٢ـ٢) فى الأصل « يجمع بها »

(٣) فى الأصل « بدت »

وقطع به الحجة ، وأرسله [٢٧ و] للعالمين رحمةً ، ودفع به كل نقمة ، وأتم[١] به النعمة ، إذ هو رسوله المصطفى ،صلى الله عليه وعلى آله أهل الصدق والصفاء وعلى أصحابه أهل المحبة والوفاء وعلى أزواجه أهل العفة والتقى وسلّم[٢] ، ولا ملجأ ولا منجى منه ،وهو ولى كل مؤمن ونعم المولى هو ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم .

---

(١) فى الأصل « تتم »

(٢) فى الأصل « ولا »

فهرس الموضوعات

	صفحة
الفصل الأول فى مقامات القلب	٣٣
مثل الصدر	٣٥
مثل القلب	٣٦
مثل الفؤاد	٣٨
مثل اللب	٣٨
الفصل الثانى فى الصدر	٤٠
دخول وسوسة النفس فى الصدر	٤٠
اضافة الانشراح والضيق إلى الصدر	٤١
مكان نور الإسلام فى الصدر	٤٣
الصدر موضع الغل والجناية	٤٥
الصدر موضع العلم	٤٦
الفصل الثالث فى القلب	٤٧
اضافة العمى والبصر إلى القلب	٤٧

صفحة

العلم النافع فى القلب ٤٩
غوربحار القلب ٥٠
الحكمة ٥٢
باطن العلم وظاهره ٥٢
القلب معدن نور الإيمان ٥٣
مرض القلب ٥٦
نية القلب ٥٧
علم العبارة وعلم الاشارة ٥٨
معدن نور الإيمان ونور القرآن ٥٨
أنوار القلب فى الأصل كاملة ٦٠
الفصل الرابع فى الفؤاد ٦٢
الفؤاد موضع الرؤية ٦٢
إضافة الرؤية إلى القلب ٦٣
فرق آخر بين القلب والصدر ٦٥
يُسَمَّى القلب قلبا لسرعة تقلبه ٦٦
حديث جبريل فى الإسلام والإيمان والإحسان ٦٧
الرحمن والرحيم ٦٩

صفحة

ربط القلب وفراغة الفؤاد ٧٠

الفصل الخامس فى اللب ٧٠

تفسير اسم اللب ٧٢

العقل ومقاماته ٧٣

أسماء أخرى للعقل ٧٦

الفقه فى الأحكام والفقه فى أصول الدين ٧٧

استنباط الفقيه ٧٨

الفصل السادس فى أنوار القلب ٧٩

الفوائد التى تتولد من الأنوار ٧٩

مثل الجبال ٨٠

مقامات النفس ٨٢

جوهر النفس ٨٣

حدود الجبال ٨٤

تفسير لفظة « عرف » ٨٥

جبل نور التوحيد ٨٧

حال الموحِّد ٨٧

بلاء الموحِّد ٩٠

صفحة

عجز العقل عن إدراك الحقائق	٩٢
الحياة بالله	٩٤
الروح	٩٦
مثل صاحب هذا الطريق	٩٧
مثل الـكواكب	٩٨
قلوب الاولياء	٩٩

فهرست الأحاديث

صفحة

اذا أراد الله بعبد خيرا ٧٨
اذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية . ٩٠
اذا شرع فى صلاته سمع له أزيز كأزيز المرجل ٩٠
الإسلام إقرار باللسان وعمل بالأركان ٤٣
أشدّ الناس فى الدنيا بلاء الانبياء . ٩٠
اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع . ٤٩
إن الله عز وجل تجاوز عن أمتى ٤٨
إن لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ ٦٤
إن لهذا العلم طغيانا كطغيان المال . ٤٩
إنما الأعمال بالنيات . ٣٧ ، ٥٨
إنما مثل القلب كمثل ريشة فى الفلاة ٦٦
الإيمان فى قلوبهم كالجبال الرواسى . ٨٤
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ٩١
الخبر ليس كالمعاينة . ٨٤
ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ٩١
رأيت ربك ؟ فقال : ما كنت أعبد شيئا لم أره ٦٣

صفحة

رب حامل فقه لا فقه له ٧٧
رحم الله أخى موسى ليس الخبر كالمعاينة . ٦٣
زاجر الله فى قلب كل مؤمن ٩٤
العلم علمان علم باللسان ٤٩
فراسة المؤمن لا تخطىء . ٩٤
كان لى شيطان إلا أن الله تعالى ٨٢
لا حكيم إلا ذو تجربة ٧٥
لا عمل لمن لا نية له . ٥٨
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم ٩٠
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه . ٥٥
ليس الخبر كالمعاينة . ٧٠
ليفتك قلبك . ٩٤
ليلنى منكم أولو الأحلام والنهى ٧٦
ما الإسلام ؟ ٦٧
من عرف نفسه عرف ربه . ٩٣
من عمل بما يعلم أورثه الله علم ما لم يعلم . ٥٠
من مات فقد قامت قيامته . ٩٤
من يشاهد الله تعالى وكبرياءه فى أشد البلاء . ٩٠

	صفحة
المؤمن ينظر بنور الله تعالى .	٩٤
نعوذ بالله من شرور أنفسنا .	٨٢
نعوذ بالله من منافق عليم اللسان جهول القلب .	٥٠
هن ناقصات العقل والدين .	٥٩
يثاب الناس على قدر نيا تهم .	٥٨
اليد جناح والرجلان بريد والعينان مصلحة	٣٧



رقم الإيداع : ٣١٦٤ / ٨٧